Elmewqib El Theghafi

المرقب الثقافي

العددان 2 و 3 أكتوبر، نوفمبر/ 1995

مجلة تربوية - ثقافية تصدر عن اللجنة الوطنية الموريتانية للتربية والثقافة والعلوم

عدد خاص
Numéro Spécial
الثمن 200 أوقية

«لما كانت الحروب تتولد في عقول البشر ففي عقولهم يجب أن تبنى حصون السلام»

في عدد أكتوبر

ندوة شنقيط العالمية حول «الحواضر والتراث في الصحراء والساحل»

Colloque International de Chinguitti sur "cités et patrimoine culturel du Sahara et du Sahel"

في عدد نوفمبر

محاور:

- علمية
- علمية
- أدبية
- ثقافية

L'Agence de Coopération Culturelle et Technique (ACCT)

إبداعات

ضمن العدد ملحق بالفرنسية من 28 صفحة :

- مقال عن وكالة التعاون التقافي والفني
- الجزء الفرنسي من ندوة شنقيط

Dans ce numéro, il y a 28 pages en français:

- Agence de Coopération Culturelle et Technique (ACCT)
- Des interventions en français dans le Colloque de Chinguitti

طباعة وتصميم :
سافور للمعلوماتية
SAFOR Informatique

سحب :
الطبعة الوطنية

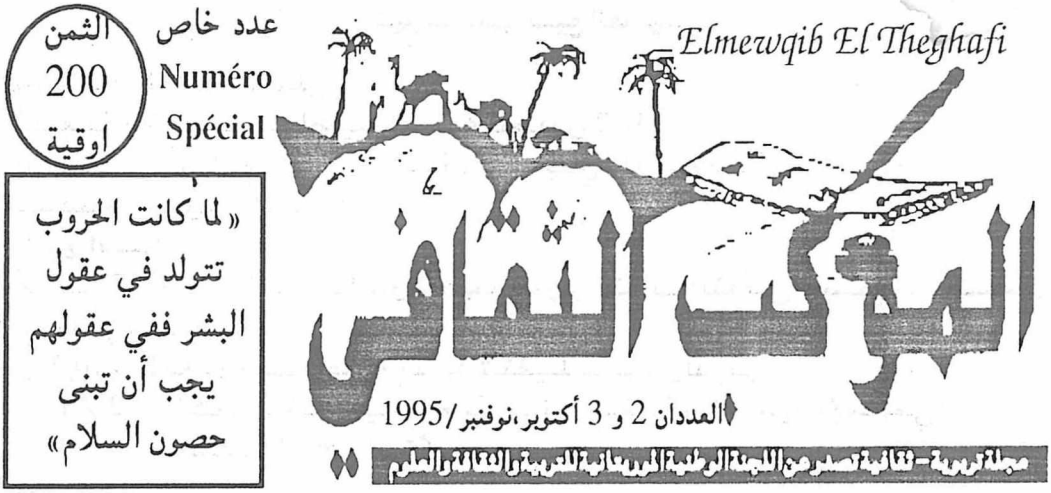

عدد خاص
Numéro
Spécial

الثمن
200
اوقية

«لما كانت الحروب
تتولد في عقول
البشر ففي عقولهم
يجب أن تبنى
حصون السلام»

المدير الناشر:

الأستاذ أحمد بدي ولد أحمدُ فال

رئيس التحرير:

الأستاذ سيدي محمد ولد ختاري

سكرتير التحرير:

الأستاذ أحمد جده ولد محمد

المدير الفني:

محمدُ ولد محمد (ولد أحظانا)

المحررون:

- الأستاذ: محمد فال ولد عبد الرحمن
- الأستاذ: بوبه ولد محمد نافع
- الأستاذ: الشيخ المعلوم ولد محمد سالم
- الأستاذة: مريم بنت بكر
- د. عبد الله ولد السيد
- الأستاذة: لاله بنت محمدمحمود

فهرست المواضيع العربية:

الصفحة3:الغلاف الداخلي
الصفحة 4:فهرست المواضيع العربية للعددين 2 /3
الصفحة 5 :افتتاحية العدد: الأستاذ أحمد بدي ولد أحمد فال
الصفحة6 :قسيمة الإشتراك

مواضيع العدد02

الصفحة 7 / 8: ندوة شنقيط حول «الحواضر والتراث الثقافي للصحراء والساحل»
- برنامج الندوة
ص 10/9: كلمة ترحيب/ عمدة بلدية شنقيط محمدُ ولد ابنُ
ص 11 / 12 : الكلمة الأفتتاحية/ معالي وزير الثقافة والتوجيه الإسلامي، السيد الإمام ولد تگدي

أعمال الندوة،

- المحور المنهجي:
ص 13 / 20 : «مقاربات في منهج استنطاق الثقافة الشعبية الموريتانية»/ الأستاذ محمدُ ولد محمدِ (ولد أحظانا)- موريتانيا

- المحور التاريخي العمراني:
ص 21 / 26 : «وادان وشنقيط: نموذجان لتألق المدن في الصحراء»/ الأستاذ إزيد بيه ولد محمد محمود - موريتانيا

محور المخطوطات:
ص 27 / 33 : «المخطوطات العربية القديمة في موريتانيا» / الباحث محمد المصطفي ولد الندي - موريتانيا
ص 34 /44 : «المخطوطات العربية والإسلامية في دول الساحل» / الباحث أحمد ولد محمد يحي - موريتانيا
نهاية نصوص العربية للندوة

- مواضيع العدد3،-

- المحور العلمي:
ص 45 / 48 : «المعلوماتية من النشأة إلي النضج»
عبد الرحمن ولد بوجمعه، متخصص في المعلوماتية.
- معالجات تاريخية:
ص 49 / 57 : «علماء البلاد الشنقيطية ورحلة الحج في القرون الماضية»/ الأستاذ سيدي أحمد ولد أحمد سالم.
- نقد أدبي
ص 58/ 59 : «القصة القصيرة بموريتانيا» / الأستاذ محمد ولد تتا
- التراث الشعبي:
ص 60 / 61 : حكاية «روح الغول» / الأستاذ محمدُ ولد محمدِ (ولد أحظانا)
- نقد فني:
ص 62 /63 : «خواطر حول معرض فني» / الأستاذة السالكة بنت اسنيد
- أنباء ثقافية:
ص 64 /65 : تدشين مكتبة العرفان الوقفية / إبراهيم فال ولد أحمد
ص 66 : «مجرد رأي» / سيدي محمد ولد ختاري
ص67 : قصيدة: «الشعر والضاد والأشبال» الشاعر أحمدُ ولد عبد القادر.

الإفتتاحية

نطلع علي قارئنا الكريم هذه المرة بعددينا لشهري اكتوبر ونوفنبر وقد خصصنا عدد اكتوبر لنشر الأعمال العلمية للندوة العالمية حول «الحواضر والتراث في الساحل» الملتئمة في شنقيط من 13 إلي 19 اكتوبر 1995، بينما تضمن عدد نوفنبر مقالات ومعالجات ثقافية وفكرية وإبداعات..

وقد قمنا بتخصيص عدد كامل لندوة شنقيط لتواجد عاملي: الإخبار الثقافي العلمي، وعلمية وطرافة المواضيع التي ألقيت في هذه الندوة.

ولاشك أن هذين العاملين عندما يتوفران لمجلة تضع نصب عينيها الهدف العلمي والثقافي من جهة، والإعلام عن النشاط الثقافي من جهة أخري، فإن هذه المجلة ستعطي الأولوية لمثل هذا الحدث العلمي، لأنها وجدت مادة متنوعة من خلال أعمال ثقافية وعلمية وتربوية لكتاب وباحثين وطنيين وعالميين، أخضعت لشروط الإختبار العلمي، وصعبها ماصعبها من فضيلة النقاش وحضور الآخر.

وقد كانت ندوة شنقيط العالمية في المستوي الذي تنتزع به من طاقم التحرير صفحات عدد كامل من المجلة، كما أن إطلاع قارئ المهتم علي مضمون هذه الندوة إطلاعا تفصيليا، هم دعم هذا التخصيص ويؤكده.

ومن باب الأمانة العلمية فإن المجلة نشرت النصوص بلغاتها التي ألقيت بها في الندوة.

قراءنا الأعزاء

إن أهداف الموكب الثقافي تبقي دائما منصبة علي نشر الأعمال العلمية والإبداعية والأخبار الثقافية والعلمية والأدبية، وطنيا ودوليا، وعلي هذا الأساس فإننا نرحب بالمقالات والبحوث الأدبية والفكرية والعلمية المتخصصة، ونعد الكتاب والباحثين والمبدعين بنشر إسهاماتهم المختلفة في أعدادنا القادمة إن شاء الله.

وسهرا منا علي هذا الهدف تجدون طي عدد نوفنبر إسهامات كتاب وأدباء نشروا مقالات ومعالجات مختلفة..

وستبقي صفحات «الموكب الثقافي» مهدا وصدرا رحبا لإبداعات المبدعين وتصورات المفكرين واستنتاجات الباحثين العلميين .. إلي أن تصل بالأجيال الثقافية والعلمية إلي الأهداف الكبري، وتقدم الإضافة الموريتانية للثقافة العالمية علي الوجه المطلوب.

أحمد بدي ولد أحمد فال

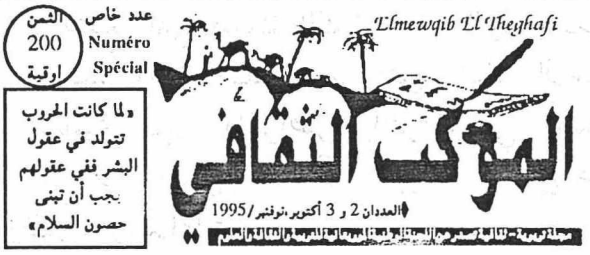

مجلة شهرية تربوية ثقافية علمية تصدر عن اللجنة الوطنية الموريتانية للتربية والثقافة والعلوم

العنوان:
الحي ف
هاتف 54805 - فاكس: 52802
انواكشوط - موريتانيا

قسيمة اشتراك

الإسم : _____

اللقب : _____

أرغب في الإشتراك في مجلتكم بـ: _____ نسخة، لمدة: _____ تصلني المجلة على العنوان التالي: _____

_____

ندوة شنقيط العالمية

حول:

«الحواضر والتراث الثقافي بالصحراء والساحل»

الملتئمة في شنقيط

من 13 إلي 19 / أكتوبر / 1995

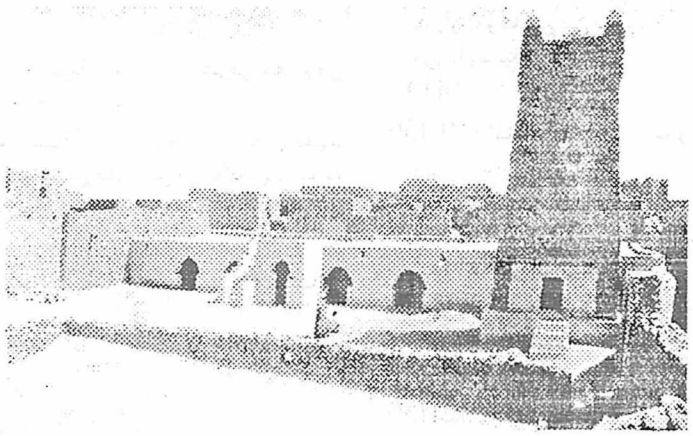

برنامج الندوة

ندوة شنقيط المنظمة من 13 إلى 19 أكتوبر 1995
المدن التاريخية والتراث الثقافي بالصحراء والساحل
البرنامج:
السبت 14 أكتوبر 1995
8 H00 : ذهاب الوفد إلى أطار
8 H45 : استقبال الوفد من طرف الوالي السيد محمد ولد ديدي والأمين العام لوزارة الثقافة والتوجيه الإسلامي السيد أحمد حامد ولد حمديت.
9H15 : استراحة بمقر الولاية
10H00 : الذهاب من أطار نحو شنقيط
12H00 : الوصول إلي شنقيط/استقبال الوفد من طرف حاكم المقاطعة والعمدة ولجنة الاستقبال:
السيد أحمد ولد بدي الكاتب العام للجنة الوطنية للتربية والعلوم والثقافة
السيد مولاي سعيد بن سيداتي مدير المعهد الموريتاني للبحث العلمي
13H30 : غداء
16H00 : الافتتاح الرسمي من طرف السيد الإمام ولد تگدي وزير الثقافة والتوجيه الإسلامي، /خطاب السيد محمد بن أبنو عمدة بلدية شنقيط/ خطاب السيد آتليو گوديو الكاتب العام للمعهد الدولي للأنتربولوجيا
20H00 : عشاء على مائدة السيد وزير الثقافة والتوجيه الإسلامي

الأحد 15 أكتوبر 1995
8H00 : تعيين مكتب الندوة
8H30 : بحث وتصنيف وإنقاذ ودراسة المخطوطات الموريتانية: عرض مقدم من طرف السيد محمد المصطفى بن الندى (موريتانيا)
9H00 : الإسلام في موريتانيا: الوحدة في إطار التعدد:
عرض مقدم من طرف السيد أنريكو فاسانا (إيطاليا)
9H30 : مقاربات في منهج استنطاق الثقافة الشعبية الموريتانية
بحث يلقيه الأستاذ محمد بن أحظانا (موريتانيا)
10H00 : إعادة إحياء الثقافة الشعبية من خلال حفظ المخطوطات الموريتانية:

عرض مقدم من طرف السيدة لورا آلينو (إيطاليا)
10H30 : استراحة
11H00 : المخطوطات العربية والإسلامية في دول الساحل:
عرض مقدم من طرف السيد أحمد بن محمد يحيى (موريتانيا)
11H30 : استراتيجية جمع وحفظ المخطوطات العربية بتمبكتو:
عرض مقدم من طرف السيد فاموري كيتا (مالي)
12H00 : البناء التعريفي لأهمية وافاق حدود البحث الأنتربولوجي في تحليل حقيقة البدو الصحراويين، إيغو فابيتي (إيطاليا)
12H30 : الصياغة
13H00 : غداء

16H00 : تاريخ البحوث الأثرية بموريتانيا: عرض مقدم من طرف السيد بوبا بن محمد نافع (موريتانيا)
16H30 : تقديم مخطط البطاقة الأثرية بمختبر الآثار بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي: عرض مقدم من طرف السيد آندريه كورميو (م م ب ع: موريتانيا)
17H30 : الصياغة
20H00 : عرض أفلام ثقافية (من إنتاج المعهد الموريتاني للبحث العلمي)
20H30 : عشاء

الإثنين 16 أكتوبر 1995
8H30 : وادان وشنقيط: نموذجان لتألق المدن التاريخية بالصحراء: عرض مقدم من طرف السيد: إزيد بيه بن محمد محمود (موريتانيا)
9H00 : صناعة النحاس بما قبل التاريخ في النيجر: عرض مقدم من طرف السيد دانيلو غريبنار (فرنسا)
9H30 : الترميم الزراعي في المناطق الصحراوية المتضررة بالجفاف، غليانوسنثيني (إيطاليا)
10H00 : استراحة
10H30 : وضعية تقدم مشاريع إنقاذ المدن القديمة بموريتانيا: عرض مقدم من طرف السيد عثمان ولد دادي (موريتانيا)
11H00: الصياغة
12H30 : غداء

16H00 : كيفية إنقاذ التراث الثقافي المهدد في موريتانيا والمغرب الصحراوي والصحراء الغربية وشمال مالي: عرض مقدم من طرف السيد آتيليو كوديو (فرنسا)
16H30 : جزر كناريا وأصول امبراطورية غانا: عرض مقدم من طرف السيد فرانسيسكو غارسيا تالابيرا (إسبانيا)
17H00 : كيف ننقذ مدينة تمبكتو؟: عرض مقدم من طرف السيد أحمد عابدين (مالي)
17H30 : إعادة بناء وحماية المعالم العمرانية والبنايات القديمة ومسجد تمبكتو فرانسواز دترو (فرنسا)
18H00 : الصياغة
20H00 : عشاء

الثلاثاء 17 أكتوبر 1995

8H30 : التشكل الاجتماعي البيضاني في القرن الثامن عشر: نظرة حول العادات والشريعة والقبيلة: عرض مقدم من طرف السيد: محمد ولد البرناوي (موريتانيا)
9H00 : البنية العشائرية في المجتمع الصومالي والمجتمع البيضاني: عرض مقدم من طرف السيد فدريكو باترا (إيطاليا)
9H30 : محافظة وتأريخ الأعمال الفن القديم: حالة تادرارت وكاكس في ليبيا السيدتان: رزانا بونتي وفرانكا برسي (إيطاليا)
10H00 : استراحة
10H30: المشاكل الاقتصادية والمؤسساتية المتعلقة بإحياء مدن الواحات الموريتانية: أوغستو كوزيناتو (إيطاليا)
11H00 : إعادة التأهيل الاجتماعي الثقافي للسياحة الساحلية: نموذج الجنوب المغربي الكبير: عرض مقدم من طرف السيدة آلساندرا برافينه (إيطاليا)
11H30 : نشاطات دار إفريقيا الجديدة بجزر لانزاروت عرض مقدم من طرف السيد غمزاليز دياز (إسبانيا)
12H00 : الصياغة
12H30 : غداء
16H00 : زيارة معالم مدينة شنقيط التاريخية (المسجد ومكتبات المخطوطات)
20H00 : عشاء على مائدة السيد عمدة بلدية شنقيط

الأربعاء 18 أكتوبر 1995

8H00 : الذهاب من شنقيط نحو وادان
16H00 : الذهاب من وادان نحو آزوگي
20H00 : عشاء على مائدة السيد عينينا ولد أييه (المدير العام لشومك)

الخميس 19 أكتوبر 1995

8H00 : الذهاب من آزوگي نحو أطار
10H00 :الذهاب من أطار إلى انواكشوط
11H15 : : الوصول إلى نواكشوط

الجمعة 20 أكتوبر 1995

10H00 : مؤتمر صحفي

كلمة الترحيب التي ألقاها عمدة بلدية شنقيط

السيد محمدُّو ولد أبنُ

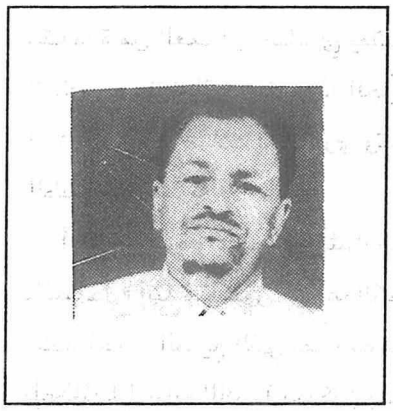

بسم الله الرحمن الرحيم

معالي السيد / وزير الثقافة والتوجيه الإسلامي
السيد / الأمين العام لوزارة الثقافة والتوجيه الإسلامي
السيد والي ولاية آدرار
السيد حاكم مقاطعة شنقيط
السادة المنتخبون
السيد الأمين العام للجنة الوطنية لليونسكو
السيد / مدير المركز الدولي للبحوث الصحراوية والساحل

أيها الضيوف الكرام من مسؤولين وباحثين
أيها الحضور الكريم

إنه لشرف عظيم لبلدية شنقيط أن تحتضن تظاهرة علمية جادة كهذه، تربط ماضيها المشرق بحاضرها الذي نتطلع إلى أن يكون عند آمال أبناء هذا الوطن، فلا يخفى عليكم أن الدور التاريخي لهذه المدينة كان وراء شهرة بلدنا العلمية على الساحة العربية والإسلامية والدولية، وما الندوة التي تعقد اليوم في أحضان هذه المدينة العتيقة سوى تجسيد لذلك الدور وسعي إلى تواصله.

لقد عاشت مدينتنا فترات مشرقة كان فيها الجهد البشري مدعوما بالمحيط الطبيعي غير أن التغييرات المناخية الحديثة رافقها شح في الأمطار وتسارع في حركة الكثبان الرملية مما كان له الأثر البالغ في وضع المدينة في حالة من العزلة عززتها صعوبة المواصلات ومحدودية الوسائل.

وعلى الرغم من كافة التحديات التي واجهتها المدينة فإنها لا تزال صامدة أمام العاديات تصون وجهها الثقافي العريق ممثلا في تراثها العلمي والحضاري الذي ستلمسونه عبر المكتبات والفنون المعمارية الأصلية. إن هذا البحر المترامي الأطراف من الرمال الذي شاهدتموه يخفى تحته أطلالا لأطوار

متعددة من العمران البشري يمتد من موقع «أبير» شرقا إلى الموقع الحالي للمدينة متوغلا في إتجاه الجنوب حيث تعاقبت على هذا الحيّز مجموعات بشرية وصلت شأوا كبيرا من التقدم الحضاري في تلك الفترة وربطت صلات ذات عرى وثيقة بجيرانها تحدوها الهمة الصادقة والمثابرة لتخطي كافة المعوقات الطبيعية والبشرية.

أيها الإخوة والأخوات المشاركون في «ندوة شنقيط» حول: «الموقع والتراث الثقافي في الصحراء والساحل» إننا متأكدون أن أعمالكم هذه التي تدخل في إهتمامات صاحب الفخامة السيد / معاوية ولد سيد أحمد الطايع الذي يضع نصب عينيه قضية هذه المدن التاريخية والذي لم يفتأ يسدي تعليماته بإعطائها العناية اللازمة ستكون بمثابة تنقيب وبحث في هذا التراث الغني مما سيلقي مزيدا من الضوء على الحالة الراهنة التي تعيشها هذه المدينة وسكانها وستمكن لا محالة من اقتراح حلول ملائمة لتلافي تراثها الثقافي والحضاري من الضياع.

أيها الضيوف الكرام

أيها الإخوة والأخوات إننا نرحب بكم في شنقيط وأخص بالترحيب السيد آتيلو كوديو الأمين العام للمعهد الدولي للبحوث الصحراوية والساحلية على ما تجشمتم من عناء السفر حتى وصلتم إلى هنا فلقد حللتم أهلا ووطئتم سهلا فمرحبا بكم في هذه الربوع من وطننا الغالي ونرجو من الله العلي القدير أن تتكلل أعمالكم بالنجاح والتوفيق.

والسلام عليكم ورحمة الله

الكلمة الإفتتاحية لمعالي وزير الثقافة والتوجيه الإسلامي السيد الإمام بن تكدي

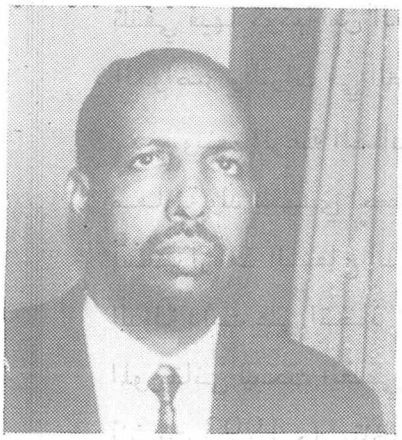

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الوالي

السادة المنتخبين

السيد الأمين العام للمركز العالمي لدراسات الصحراء

السادة الباحثين

أيها الحضور الكريم

ليس من الصدفة أن يلتئم هذا الحشد العلمي من أجل تدارس مواضيع وأبحاث علمية ذات صلة بالتراث في مدينة شنقيط التي تعد من المدن السبع المقدسة في الإسلام، والمصنفة ضمن التراث العالمي للإنسانية.

فشنقيط المدينة التي تقبع في قلب الصحراء عرفت في التاريخ الثقافي لهذه البلد منارة علم، وكعبة للثقافة، ومحطة هامة من محطات التجارة الصحراوية. وكانت منطلقا للحجيج الذن كانوا في أغلبهم علماء عرفتهم منابر المغرب والمشرق، وارتبط إسمهم بشنقيط حتي أضحت - لشهرتها- علما للبلاد كلها. وقد عرفت شنقيط بازدهار الثقافة فيها، شأنها في ذلك شأن أخواتها المدن التاريخية الموريتانية من حولها: وادان التي ستكون مزارا لكم، وكذا آزوكي قلعة المرابطين ومكان ضريح الإمام الحضرمي، وكذا تينيگي، وولاته، وتيشيت، وأوداغست، وكمبي صالح.. وغيرها.

وقد عرفت شنقيط بوفرة روادها طلبا للعلم والمعرفة، لذلك فليس صدفة أن

تلتقي فيها كوكبة من العلماء والباحثين لتنظم فيها حلقة علمية كهذه الحلقة (ندوة الحواضر والتراث في الصحراء والساحل).

وتنبع الرغبة الصادقة للدولة الموريتانية بقيادة فخامة رئيس الجمهورية السيد معاوية ولد سيدي أحمد ولد الطائع، في تنظيم هذا الملتقي، من حرصها علي استمرار هذ الشعاع الذي ميز حقبة طويلة من تاريخ هذا البلد الثقافي. لذلك فإن الدولة دأبت علي اتخاذ التدابير الكفيلة بذلك من إنشاء للمؤسسات (المعهد الموريتاني للبحث العلمي الذي أنشئ 1974 ومؤسسة حماية المدن القديمة التي أنشئت 1993 م)، وتنظيم للملتقيات والندوات مثل ندوة اليونسكو التي نظمت في نواكشوط سنة 1993 تحت عنوان «تأثير الثقافة العربية الإسلامية علي القارة الأمريكية عبر شبه الجزيرة الإيبيرية».

أيها الإخوة الحضور

إننا نغتنم هذه الفرصة من أجل إسداء الشكر للسيد آتيليو گوديو الأمين العام للمركز العالمي لأبحاث الصحراء والساحل علي هذه المبادرة الكريمة، واختياره لبلادنا، ومدينة شنقيط بالذات، لاحتضان أعمال هذه الندوة، وذلك تنويها بالمكانة السامقة التي تحتلها شنقيط، وتأصيلا لدور بلادنا الثقافي في هذه المنطقة التي ترتبط.بعلائق وطيدة في هذا المضمار مع عالم البحر الأبيض المتوسط، ويأتي هذا الملتقي ليضخ دما جديدا في هذه الصلات.

والشكر موصول كذلك لهذه الخيرة من العلماء والباحثين الذين تجشموا عناء السفر، وسهروا الليالي من أجل إثراء أعمال هذه الندوة بتجاربهم وخبراتهم، علي مدي أيام الملتقي الثلاثة.

ونحن نعلق عريض الأمل علي ماستخرج به هذه الندوة من نتائج وتوصيات بناءة تتعلق بحفظ وصيانة التراث، ولفت الأنظار إلي قيمة حفظه ولم الجهود، واستنهاض الهمم في سبيل ذلك، لنؤكد لكم أن هذه التوصيات والمقترحات ستكون محل عناية خاصة من الوزارة. حتي تجد طريقها إلي التجسيد في أقرب الآجال.

وعلي بركة الله نعلن افتتاح «الندوة العالمية حول الحواضر والتراث في الصحراء والساحل»، ونتمني لكم مقاما ميمونا، ولأعمالكم كل التوفيق.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالي وبركاته.

مقاربات في منهج استنطاق الثقافة الشعبية الموريتانية

الأستاذ: محمدُ ولد محمد الملقب: بن أحظانا
باحث في الثقافة الشعبية الموريتانية:
الفنون/ الأساطير/ الأداب/ التقاليد..

-١-

توطئة:

هذه المداخلة لا تعدو أن تكون جملة من المقاربات الأولية حول تلمس الطريق إلي مغامرة العقل الموريتاني، بين شعاب التكيف الوعرة، وتلال المقاساة الوعثاء، وسهول الحرية الخصبة؛ بين ظمأ المعرفة وري اليقين.. يتراوح بينهما هذا العقل ولايرتاح إليهما، يفتح عينيه مع الحمام البري في فجر يومه.. يحملق في الخط الفاصل بين سماء الممكنات المترامية وأرض الموجودات المحدبة.. يجوس خلال الخوف العاصف، وسط حطام الآمال المتقصفة.. يدرك ويعمل.. يعلق علي إدراكه وفعله بأناشيد حبور وأمل.. بمراثي حزن وتراتيل حنين.. يخلق عوالم.. يعدم عوالم.. ويخلف وراءه عصفا وهباء وآثارا هي كل مايبقي لنا من مكابدة ومقاتلة هذا العقل المغامر لواقعه العنيد، الفسيح، المترامي...

من تلك الآفاق التي يختلط فيها الحلم باليقظة، انبثق تراث موريتاني شعبي ثر الأبعاد، كما ينبثق نور وهاج لا يتناهي من ذرة كون تتبدد في الشفق الصحراوي المجنح.

-موضوع هذه المداخلة - أيها السادة- لا يعدو محاولة أولية لاستخلاص الإستنتاجات المنهجية التي توصلت إليها من خلال مساكنة زادت الآن علي عقد من السنين للثقافة الشعبية الموريتانية.

وعلي هذا فأنا لاأقدم هنا منهجا محدد المعالم لدراسة الثقافة الشعبية الموريتانية، وإنما سأحكي عن تجربة شخصية لي في هذا الميدان، تتركز علي الطرائق التي سلكتها بي تلك المواضيع التراثية الشعبية كالموسيقي والأساطير والآداب الشعرية الشعبية والعادات والأذواق ونواظم العواطف والمشاعر والإدراكات المختلفة الأخري..

وبما أن الوقت لا يسمح إلا بما يسمح به الإطار الزمني المحدد مسبقا لهذه المداخلة فإنني سأبدأ بمنطلق ضروري لفهم الإطار الأشمل الذي انسقت فيه، لأقوم لاحقا بإبداء عدة ملاحظات حول المنهج المترسَّم لفهم التراث الشعبي الموريتاني حسب تجربتي، ولنسم تلك الملاحظات العامة: مقاربات.

-المنطلق الأساسي:

ليس المقام هنا مقام خوض في نظرية الثقافة، وهل يمكن أن تفهم في إطارالتواصل أم في إطار الإنفصال والإنقطاع؟ في إطار الكونية، أم في إطار المركزة؛ لكن مع ذلك، وفي سياق هذه المصارحة المنهجية، فإن الإستنتاج الذي أوصلتني إليه المنهجيات المختلفة المستخدمة في هذه التجربة هو: الطابع الخصوصي لثقافة من الثقافات عن بقية الثقافات الأخري؛ ليس من ناحية الآليات المتبعة في هذه الثقافة أوتلك، ولا من ناحية مضامينهما حسب؛ وإنما من حيث البؤرة المفتاحية التي تجعلك تفهم هذه

الثقافة فهما أقرب إلي الإنتظام الذاتي والبعد عن التلفيق. إننا -في الغالب- مولعون بتطبيق مناهج كُلِّيانيَّة علي أي موضوع نهتم بدراسته، وكأن ثمة مناهج صالحة لكل المواضيع كما الشاحنة إطار صالح لتعبئة وحمل كل البضائع.

لقد ظهر لي بعد أن اختبرت نماذج منهجية مسبقة صارمة أن أجزاء كبيرة وهامة من الموضوع المدروس تخرج أوتنفلت من الإطار الضيق، وشعرت بإلحاح أنني أقص الرجل علي الحذاء عندما أخضع لأطروحات تؤول أسطورة من الأساطير أوأثرا تراثيا آخر من طرف عالم من علماء الإناسة يطبق منهجه علي عادات وتقاليد لشعوب أخري، لهذا كانت العملية المنهجية تتطلب إفساح المجال -بحدود- للموضوع من أجل التحرك في مداه الذاتي دون ممارسة وصاية قسرية عليه مجحفة به. وكان الهم الأساس: ينصب علي التمييز بين العناصر التي تتداول بها الثقافة، لأنها عناصر مشتركة (الأحياء/ الأشياء/ الأوضاع الإنسانية..)؛ وبين الإنتظام الذي تخضع له تلك العناصر في هذه الثقافة أوتلك. وبهذا التعامل تولدت بعض النتائج، منها:

1- أن المنهج الجاهز قبل أي إحساس خلفي بالموضوع، يفرغ الموضوع المدروس من إحالات كثيرة ويحوله إلي جثة هامدة تقطع علي مقاسات ليست لها، فهي عملية أشبه بالجزارة المعرفية، يقوم فيها الباحث بتقصيب موضوعه حسب متطلبات الأسهم المسبقة، ..

علي كل حال ليس هذا مجال إفاضة في الدفاع عن هذا الإنطباع المستنتج من تجربة خاصة أثناء تعامل لايوصف بالشمولية مع المواضيع التراثية الموريتانية. خصوصا أن هذا ليس حكما حاسما علي العلاقة بين المناهج ومواضيعها، لأن حكما كهذا يتطلب تصورا متكاملا عن مختلف العلاقات الممكنة؛ إلا أن هذا الإنطباع -مع ذلك- ليس مجازفة عمياء لأن له بعض المساند الميدانية.

2- أن لكل ثقافة شعبية بؤرتها التي تفهم من بنيتها ودلالتها وأفقها الشامل... ومالم نتتبع الثقافة الشعبية التي ندرسها من هذه الزاوية فإن قراءتنا لها تصبح باهتة، ويكون احتمال انزلاقنا علي سطوحها أكثر سهولة. فمن خلال الخصوصية التي تبرز بالتركيز أولا علي التفصيل يمكن اعتبار كل ثقافة كيانا مفهوما بذاته، وموضوعا للعلم والمعرفة بذاته..

3- لننتهي إلي أن فهم الثقافة الشعبية الموريتانية يكون أنجع عند انطلاقنا من تفصيلات هذه الثقافة، وبمنهج تستدعيه معطياتها؛ لا بمنهج مسبق جاهز لديه سمعة طيبة علميا لأنه نجح في كشف البؤرة المركزية لدي ثقافة أخري.

قد يقال إن هذه الإستنتاجات تصب في الدعوة للقطيعة العلمية؛ بل والإنعزالية، في حقل البحوث الشعبية، لكن الأمر لايعدو دعوة للإعتدال في تجهيز مناهج معينة لأي موضوع. كما أنها لاتعدو وصفا لتجربة ذاتية حول استغلال الثقافة الشعبية، حاول صاحبها أن يطبق بعض المناهج والخطط الجاهزة فإذا بالمعطيات تتسع عن الأستنتاج الذي أعطته المناهج المسبقة، اتساعا يعكس بجلاء التحامل المنهجي علي الثقافة الشعبية المدروسة، بحيث تصبح الهوامش المقتطعة من المعطي أكبر من متن الإستنتاجات..

إن الأمر لايعني انقطاعا منهجيا في الصحراء عن بقية المناهج العرفية، وإنما يعني محاولة تجنب الحرْفية، من أجل التخلي عن المقايسة الجاهزة، والتخفف والصبر علي الإجهاد والضني المنهجيين حتي نحصل علي أقصي المكاسب الممكنة من الموضوع.

فبماذا سنخرج من مَيْدَنة المنهج،

لدراسة الثقافة الشعبية الموريتانية؟

-٢-

-ملاحظات حول منهج قراءة الثقافة الشعبية الموريتانية:

لما كانت للثقافة الشعبية الموريتانية خصوصيتها واستعصاؤها المنهجي الذاتي، الذي قد تتحلي به كل ثقافة شعبية غيرها، فمن المطلوب أن نبرز مجموعة الملاحظات التي تستخلص من ممارسة قراءة ما لهذه الثقافة. وسنقتصر علي الملاحظات العامة، مع ضرب أمثلة لتطبيقاتها، وبواعثها:

الملاحظة الأولي:

التراث الثقافي الشعبي الموريتاني يمكن أن يفهم كوحدة متساندة أكثر مما يفهم كأجزاء متباعدة لاصلة بينها.

استنجت هذه الملاحظة المنهجية عند قراءة مواضيع متباعدة الأختصاص في الثقافة الشعبية من ذلك:

-أولا:

أثناء بحثي عن دلالات المصطلح الموسيقي فوجئت بأن الفنانين لايملكون القاموس اللغوي لأسماء الوحدات الموسيقية التي يعزفونها بإتقان ولايفقهون أسماء الآلات التي يعزفون عليها.. وبحثت مطولا في الأشتقاقات والدلالات خارج الحقل التداولي الفني في مراجع لغوية واجتماعية أخري غير الحسانية وغير فئة الفنانين، فإذا بدلالة المصطلح الموسيقي تقبع في أبعد حقل اجتماعي وتداولي عن الظاهرة الفنية وممارسيها.. في أبعد نقطة اجتماعية وثقافية -ظاهريا- عن الفئة الأجتماعية التي تمارس الموسيقي.. كانت عند من يعتبر أن الموسيقي مدعاة للآثام الدنيوية، ويميل إلي تحريمها.. وجدتها- ولاتفاجؤوا- عند حملة الثقافة الدينية العالمة.. عند الزوايا..!!

كان استنتاج كهذا مستحيلا لو تم استبعاد مؤشر التواصل بين أركان الثقافة الموريتانية؛ لاالشعبية منها وحدها؛ وإنما العالمة منها أيضا. إننا لواعتبرنا ماتحيل عليه المعطيات الواعية للثقافة الشعبية، حيث يقول المثل الشعبي الموريتاني «لمْرَابطْ مَاهُ صَاحبْ إيگّيوْ»، زيادة علي ما نَلاحظه من قطيعة معيشة علنية بين «المرابط» و «إيگيوْ»، لما وجدنا تفسيرا للمصطلح الموسيقي. لكن بإقرار التواصل الذي تقود إليه إحالة اللفظ يمكن أن نهتدي إلي بعض المفاتيح الهامة بخصوص تأويل المصطلح الموسيقي. لقدكنت أسأل بعض شيوخ المحاظر عن معاني مصطلحات موسيقية فيستغربون في البداية، لكن بعد صرف انتباههم إلي الهم الإشتقاقي والمعجمي كانوا يكتشفون بسرعة المعاني التي لم يكن يخطر لهم علي بال أن بينها علاقة: إن شيوخ الزوايا الذين لايزالون يعرفون اللغة الصنهاجية شبه البائدة هم المؤهلون اليوم للكشف عن دلالة: «دِينَّهْ» (مقام في الطريق البيضاء)، أو«تَنَچُّوگه» (مقام في الطريق الكحلاء)، مع أنهم قد لايعرفون علي ماذا تدُل فعلا.. لكن الفنان الذي يعزف «دينه» و«تنچوگه» جيدا، لن يجيبك لوسألته عن دلالة المصطلح إلا بأنه لايعرف، وإنما روي عن جدوده..

إن هذا الأستخلاص يوحي بأمور أخري قد تكون لها أهمية في فهم رد الفعل الأجتماعي السلبي علي الفن الموسيقي، لدي مجموعة كبيرة من الزوايا، وتتوارد تلك الأمور علي مسألة مركزية في فهم ذلك الموقف، وهي:

أن رفض الموسيقي لدي غالبية أفراد فئة الزوايا يجد مبرره في عامل نفسي جمعي لدي هذه الفئة، مأتاه من محاولة كبت الألم المصاحب للإنصات للموسيقي

التي كانت ملكا لهذه الفئة يوم كانت الغلبة لها.. يوم كانت الموسيقي مظهرا من مظاهر السيادة السياسية.. فأصبحت فقيدة نتيجة الهزيمة السياسية والإجتماعية المعقدة، التي منيت بها فئة الزوايا.. الهزيمة لابمعناها الذي درج عليه بعض مؤرخينا ممركزا حول «شربيه»، لأن هذه الهزيمة موضعية تخص بعض فئة الزوايا في جهة من الجهات؛ بل الهزيمة المتراكمة أثناء السيطرة التدريجية لقبائل حسان علي المبادرة السياسية والتمكن من الرقاب والحمي علي مدي قرون.. تلك الهزيمة التي استمرت فصولها أكثر من خمسة قرون، استطاعت بعدها قبائل حسان أن ترث الأرض ومن عليها من بقايا وشراذم الدولة المرابطية، بمافيه الفنون.. وكانت الإمارة غير الحسانية الوحيدة التي بقيت علي قيد الحياة (إدوعيش) قد تبنت أسلوب الغالبين

وأصبحت منهم. لكل هذا أصبح السماع مؤلما للزوايا لأنه تذكير بألم مكبوت.

وبقي للتاريخ الثقافي أن أسماء الموسيقي والأماكن لم تغير إلي الآن..

ثانيا:

-المثال الثاني:

علي هذا الإتصال يتضح من خلال البحث عن نماذج الإدراك العقلي الشعبية من خلال شعر الحسانية، فهذا البحث يكشف عن العلاقة بين الثقافة الشعبية والثقافة العالمة في النواظم العقلية الكبري، لافي الرموز اللغوية وحدها. بيان ذلك أنه: -بالآلية المنطقية التي نظّر لها المناطقة الأرسطيون من أصحاب القيم الثنائية في الثقافة العالمة عندنا يمكن فهم النموذجين العقليين اللذين انتظما عقل الشاعرين الشعبيين الموريتانيين رغم اختلاف المضامين التي تناولاها وتباعد مناطق تواجدهما علي الأرض؛ يقول أحد الشاعرين متغزلا:

فَازْيَدْ الْ مِنْهَ لَوْجَادْ

اِصْرِيعْ اُنْفَلاكْ مِتْكَادْ

سَاعِتَهْ دَايِرْتُ يَـــــتْزَادْ

مِنْهَ لِحْزِيمْ اِجَـــــرِيتْ

هَـذِ فِيـــهْ اُسَاعَـــتَهْ زَادْ

گَالِعْتْ مَاهْ دَايِـــــرْتْ

اِنَمْ الْحَزْمْ الأَمْزِيـــــوْدْ

دَايِمْ دَهْرُهَذْ نَـــــبْتْ

اُهِبْ مَا نِگْدِرْ كُونْ انْعُودْ

دَايِرْتُ وَاللْ گَالِـــعْتْ

- ويقول الثاني معيرا خصمه:

لَحْگْ لِ لِلْمَحْضَرْ لَـــــگْعُودْ

اِقْبَلْ السْتَرْ وَالْمَقْصُودْ

عَنْ ذِ الْغَدَرْ فَـــــالْمَـرْدُودْ

اِنْ فِيهَ وَامْكَيْدِيـــــهَ

اُذِيكْ اِلَى عَادِتْ حَگْ اِكُودْ

اِصْبَرْ لَهْ فَاجْمُوعِتْ جِيـــهَ

وَلِيَ عَـــــادِتْ كَذْبْ اُنْرُودْ

هُوَهُوَ لِمُودِيـــــــهَ

ذِيكْ اِمْلْ تَگْـــــعْ وَنْـگُودْ

لَلْكَشْفْ وَاغْرُورْ انْجِيهَ

اُهُومَـــــا يِگْدِرْ كُونْ اِعُودْ

فِيهَ وَاللْ مَاهْ فِيـــــهَ

فالقيم المنطقية هنا ثنائية كما نري:

- (التحلي بالقُلب، أوعدم التحلي به

في النموذج الشعري الأول/ والكيد للغدر أوفقدان التأثير في توجيه الأمور، في النموذج الشعري الثاني). والأقتضاء المنطقي أرسطي كما لايخفي؛ لكن العلاقة بين الثقافة الشعبية والثقافة العالمة في موريتانيا كانت حميمة، وكان إدراج مضامين وبني إحداهما في الأخري آلية شائعة.. ومن هنا جاء التداول المتبادل بالأمتعة النظرية حسب الحاجة..

-النموذجان الشعريان اللذان سنستعرضهما الآن كدليل علي هذا التواصل بين الثقافة العالمة والثقافة الشعبية الموريتانيتين يعكسان نوعا ثانيا من الإقتضاء المنطقي، وهو الأقتضاء الثلاثي القيم. والنموذجان لشاعرين قد يشكلان بنفسيهما تجسيدا لهذا التواصل.

يقول أحد شاعري الحسانية:

المَحرَدْ نَعرَفْ لمغلَيـــــــــهْ
اعلَبْ وامرَغبَنْ فيـــــــــهْ
خاطِرْ رَيتْ سلَمتْ اغـــــليهْ
كايمرْ من عندْ المَحرَدْ رَدْ
منزَلْ ذَالْ مولِعْ بيـــــــهْ
وآن نَعرَفْ كنتْ المَـــــحرَدْ
مانبغيهْ الاَ مانبغيـــــــهْ
الأحَدْ عندْ مَـــــــــحرَدْ

ويقول الثاني:

حَدْ ابغَانْ نَفعَلْ لمكَادْ
افمَغبْ وانْزومْ المـــــعنَادْ
أحَدْ اكرَهْنِ من نْعادْ
اعلَ حيلْ مَـــــاه عَجـــــرْ

وانواسِ لمَّاسين زادْ
ريحتْ حجرْ ريحتْ حـــــجرْ

فالناظم العقلي المنطقي لهذين الشاعرين موحد ويعني انهما يتبنيان نموذجا عقليا موحدا يخضع مباشرة للإقتضاء العقلي الثلاثي الذي عرف عند المتكلمين العرب الإسلاميين في نظرية «المنزلة بين المنزلتين لواصل بن عطاء» و«أحوال الجبائي» و« كسب الأشعري» وغيرهم.. وإذا علمنا أن الحكمين المنطقيين الذين نظمهما الشاعران هما مثلان شعبيان في نفس الوقت، تبين لنا مدي تغلغل النموذج الثلاثي القيم في العقل الجامع للثقافتين العالمة والشعبية:

-النموذج الأول: {مشاعر الحب/ مشاعر الكره/ مشاعر محايدة؛ رمز لها هنا بالمُحرد (الكاهل) الذي يساوي في القرعة علي أعضاء الشاة قيمة بينية فوق سهم الرقبة السيئ الصيت، ودون سهم الظهر الحسن السمعة}.

-النموذج الثاني:{ التقرب/ البعد/ لاقرب ولابعد.. رمز لها الشاعر برائحة الحجر، مما يعني وجود حكم ثالث بين كل حكمين، فـ«رائحة الحجر» قيمة هبائية لاهي موصوفة بمفونة الكراهية، ولاهي موصوفة بزكاوة المعزّة).. وقد تذكرنا هذه المسألة أخيرا بالقضية الثالثة في المنطق الرمزي تذكيرا ما.. وهي القضية اللا صادقة واللا كاذبة.. كما أنها تذكرنا بالنماذج التثليثية في الثقافات الشعبية..

-ثالثا:

عثرت علي هذا المثال من خلال تتبع التواصل بين النواظم العقلية للثقافة الموريتانية داخل الثقافة الشعبية فيما بينها، عند بحثي عن تبرير نسقي لثلاثية الطرق ورباعية البحور في الموسيقي الموريتانية، فقد وجدت في «لِگزانَه» (الضرب علي الرمل) نفس

النموذج التوليدي بين البيتين حيث أن كل بيتين يلدان ثالثا. وهو انتظام يصدق علي توليد الوحدات في نظرية الموسيقي الموريتانية: توليد طريق «لگنيدية» من الطريق «البيضاء» والطريق «الكحلاء»، وتوليد «الظهر» من تزاوج «البحر» و«الطريق». أما بالنسبة للتربيع في عدد خطوط الإخالة الأولي ل «لگْزَانَه»، فإن الأربعة خطوط التنقيطية الأفقية، تصبح سلما تجرد منه بالمحو الثنائي بيوت رباعية عموديا، ويولد هذا البيت أفقيا وعموديا مع زوجه. وفي الموسيقي يعتمد نفس الأفق النظري في بناء شكلها العام (البحور الأربعة: كرّ /فاغُ/ سنييمهْ/

لبتيت، من جهة، (بعد عمودي)، و«الطرق: الكحلاء /البيضاء/ الگنيدية، من جهة أخري (بعد أفقي).

هذا الناظم العقلي بين التربيع والتثليث يوجد كذلك في نظام «الگاف» الرباعي الأشطر، و«الطلعة» التي تبدأ بثلاثة أشطر علي روي واحد تسمي «الحُمْر». وتقعد بتربيع رابعته ثالثة الثلاثة الأولي.

-الملاحظة الثانية:

هذه الملاحظة هي -بالضبط- الملاحظة المقابلة لملاحظة التواصل العميق في المديات القصوى للمواضيع الثقافية الشعبية. فهذه المواضيع رغم توحدها -في الدلالة العقلانية العامة- علي انماط إدراك، وحكم، وتعبير، عند نقطة الأستنتاج؛ الا أنها -من جهة مناهج تشكلها حول دلالتها- ذات طبيعة مختلفة. فتشكل الظاهرة الجمالية الموسيقية حول المعقول الإجتماعي الذي تعكسه، يختلف عن الصورة التي تشكلت بها الآداب الشعبية حول المعقول. وتكثف تعبير الحكائين الأسطوريين عن أساطيرهم، يختلف في طريقة تشكله حول المعقول الأجتماعي بنفس درجة العكس عن التشكل القيمي للمعطي الدلالي الإجتماعي في الألعاب العقلية والوظيفية.. وذانك سيختلفان في تشكلهما عن تشكل معايير الأخلاق بما فيها من قيم الخير والجمال والعدل والنجاعة، حول نفس المعقول الأجتماعي... فاعتمادنا في البحث عن دلالات وبنيات الأساطير من منهج عهدناه خصبا في استنطاق الموسيقي، قد يكون تفقيرا منهجيا لإحالات الأساطير، شحيحا في استنطاق أبعادها، حتي ولو كانت أسطورة من جملة الأساطير الموسيقية...

إن الظواهر الجمالية الشعبية ستختلف تحت يد الباحث في طريقة الاستنطاق اذا اراد الانسياق وراء انسجامها الداخلي، نتيجة اختلافها في التشكل حول المعقول الأجتماعي للكشف الموضعي عن الزاوية التي تعكس منها هذه الظواهر الجمالية المهاد العقلي العام ومحتوياته التي نسميها معقولا اجتماعيا.

وهناك أكثر من مثال ميداني يبعث علي استنتاج مثل هذه الملاحظة:

-المثال الأول:

عند محاولتي تفسير بعض الأساطير الموسيقية الموريتانية، كأسطورة «انْوَفَّلْ»وأسطورة «فَنْجَه» الموسيقيتان، من خلال منهج القرائن اللغوية والفعلية والمادية والشمولية المعرفية والتاريخية التي استخدمتها في تأويل الظاهرة الفنية الموسيقية، لاحظت استعصاء هذه الأساطير علي المنهج المستخدم في دراسة الموسيقي، وإذا الهوامش والمهملات تربو علي متن التأويل، فاستخدمت منهجا آخر يستحضر قرينة التسمية، ودلالة الفعل، وسياق وموقع الأسطورة.. إلي جانب خطاطات منهجية أخري مساعدة... فإذا بحكاية «انوفل» التي تحيل علي وقائع وأحداث تدعي الأسطورة أنها حدثت، تتحول إلي حكاية فنية تعليمية الهدف،

تحمل دلالات منوعة تميد برموز وإيحات ثرة لم تكن متوقعة، ولم يكن منهج استنطاق الظاهرة الفنية الخالصة قادرا علي توضيح أبعادها. لماذا لايصلح هذا المنهج لذاك ولا ذاك لهذا؟

إن الأمر يعود إلي أن تشكل الظاهرة الثقافية الشعبية انبني عبر وسائط، ولكل وسيطة خصائها التي علي أساسها تؤدي فعلها الخاص بها في نسق الظاهرة الثقافية، ولها إمكانياتها وآفاقها التي تتحكم في تموقعها داخل هذه الظاهرة. مما يعني أن كل ميدان في الثقافة سينطبع بطابع الوسائط البشرية والمادية والأخيلة التي أحاطت بنشوئه.

وبما أن منهج الأستنطاق سباحةٌ ضد تيار تشكل الظاهرة الثقافية، من أجل الوصول إلي المنابع، فإن القدرة علي تتبع المجري الأصلي لنهر من الأنهار لاتعني قدرة مكافئة علي استنتاج -بالقياس- للتويات وتعرجات مجري آخر لم نقم بمعاينته. فطبيعة الأرض تختلف ومساربها لاتخضع لنفس القاعدة. وعليه؛ لابد من متابعة المجري ميدانيا كما هو من مصب النهر إلي روافده لنحدث عنه حديثا سليما. إن حوامل الثقافة الشعبية تشبه إلي حد بعيد تلك الأراضي التي تشق فيها الأنهار مساراتها، ورغم أن النهر يجد طريقه دائما إلي مصبه، إلا أن المسارات تختلف بعوامل اختلاف مستويات الأرض وطبيعة التربة وقابلية الأختراق من هنا أوهناك.

المثال الثاني:

عندما حاولت القيام باستنطاق الحكاية الشعبية من خلال إفلاتها من الزمن المحدد، قياسا علي الظاهرة الجمالية الشعرية والفنية، فوجئت بأن مضمون الحكاية الشعبية كريح الصحراء تأخذ من كل أرض مرت بها لونا، ولايمكن فهم الحكاية خارج «تعايش التواريخ والأزمنة»، لأن الحكاية تحمل في كل حقبة مصطلحا من هنا أو مصطلحا من هناك، ويمكن اكتشاف هذه المصطلحات بالرجوع إلي القاموس اللغوي للحكاية..

الملاحظة الثالثة:

تتعلق هذه الملاحظة بالاستنتاجات والمناهج. ومؤداها أن الركون إلي استنتاج جاهز قار في الثقافة الشعبية يعتبر مغامرة حقيقية، لأن مواضيع هذه الثقافة لم تكتمل بعد كمدونة، وبالتالي فإن مواضيعها ناقصة بماهي مروية علي نحو معين.. ويخطئ من يعتقد أن التلف الذي أصاب هذه الخرائب المعمارية لم يصب -بنفس الدرجة- جدران الثقافة الشعبية الناطقة المروية.

يعني هذا أن الأستنتاجات مؤقتة جدا، وهاجس الرحيل عنها في أية لحظة، يجب أن يبقي حاضرا في ذهن الباحث الذي لايري بدا من الإستنتاج علي حد ماوفر له منهجه المطبق علي المعطيات المتوفرة.

ويعني كذلك أن المنهج مؤقت توقيت انبناء المعطيات المتوفرة عن الموضوع المدروس.

آفـاق:

المقاربات التي أوردناها كنماذج، لاكلائحة إحصائية هي:

1- مقاربة التواصل والتشاكل العميق من خلف التنوع الظاهري لمواضيف الثقافة الشعبية الموريتانية، مما سيعني عدم إقرار القطائع بين استنتاجات حقل ثقافي وحقل آخر.

2- مقاربة الميدنة المنهجية، حيث لايمكن استخدام آلية الإستنطاق بالنسبة لحقل ثقافي شعبي في حقل ثقافي آخر. فرغم الوحدة في الإستنتاجات والنواظم الكبري لجميع حقول الثقافة، التي تعطيها المقاربة الأولي؛ إلا أن طبيعة

تشكل الطواهر الثقافية حول بؤرها الخاصة بها لا تنطق بنفس اللغة المنهجية. ويعود ذلك إلي الإختلاف في طبيعة الحوامل الرمزية والواقعية التي يتطلب تفكيك كل تشكل منها جهاز استنطاق جديد.

3- الإستنتاجات التي يتم التوصل إليها بمنهج ثنائي الإعتبارات، لايمكن إلا أن تكون نتائج تترك هامشا للمراجعة المتجددة بتغير خارطة المعطيات التي لاتتقدم للباحث علي سطح، وإنما هي مطمورة تحت ركام التغيرات والتحويرات التي تقود إليها دواعي التوظيف الأجتماعي المتجدد لعناصر الثقافة الشعبية.

إن منهج استنطاق الثقافة الشعبية الموريتانية يكون أقرب إلي الثراء وكشف الروح التي أنشأت الثقافة ولايزال حفيفها يسمع في وشوشة سعف النخيل وتجوس أطيافه بين الخرائب الشاخصة؛ عندما نتوسل إليها بمنهج استنطاق يستحضر هذه المقاربات.

تعريج قصير:

قبل النهاية أعود لاستغلال ما أوردته في المقدمة عن خصوصية كل ثقافة فيما هو أبعد:

في المعقول واللا معقول الثقافيين، حيث أري أن المعقول الإجتماعي في ثقافتنا ليس -بالضرورة- معقولا بالنسبة لثقافة اخري؛ بل قد يصير المعقول في ثقافتنا هو اللامعقول في ثقافة أخري. لماذا؟

- لأن الحكم بالمعقولية حكم في غاية المعيارية لدي وعي الثقافات المتمايزة. والمعايير التي تحدد هذا الحكم ومعطياته ليست موضوعية علي الارجح، اذ هي مليئة بالثقالة التاريخية، مشحونة بالأحكام المسبقة المضببة بالمخيلة الخصوصية. وعلي اعتبار أنناننظر الي الحجم الكلي لكل ثقافة شعبية فمن الاجحاف ان ننتقي المعقول في ثقافة ما علي معايير المعقولية في ثقافة أخري. ان التعبير الاقرب -من وجهة نظري - الي مسالة المعقول واللامعقول الثقافي هو ابدال المفهومين بالمقبول واللامقبول، لان في المسألة وجها معياريا لايمكن أن يوصف بالمعرفية. وهذا الهاجس هو الذي يوهم قراءالثقافات بالخلط بين المعقول والمقبول...

- استخلاص:

أردت أن أصل من وراء إبراز هذه المقاربات الإنطباعية التي لاتعبر إلا عن تجربة فردية في استنطاق التراث الشعبي الموريتاني الوصول إلي أمرين:

1- أننا لانستطيع أن نختزل منهج دراسة مواضيع الثقافات الشعبية المختلفة في منهج موحد القواعد لاختلاف تشكلها المادي والمفهومي والبنائي حول مدلولاتها العميقة.

2- أن الإنسياق وراء وحدة الدلالة العميقة لأساليب الثقافة لايقود حتما الي تشابه طرق الوصول إليها. ومن هنا فلكل حقل شعبي نسقية خاصة به يجب أن نبحث عنها حتي نستنطقه بها علي الوجه الذي تشكلت عليه.

وباختصار: علينا أن نستبعد المنهج القياسي من دراسة الظاهرة الثقافية الشعبية لأن الأمر يتعلق بحقول مختلفة.

أشكركم.

وادان و شنقيط
نموذجان لتألق المدن في الصحراء

عرض: إزيد بيه بن محمد محمود
أستاذ التاريخ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة نواكشوط
باحث بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي

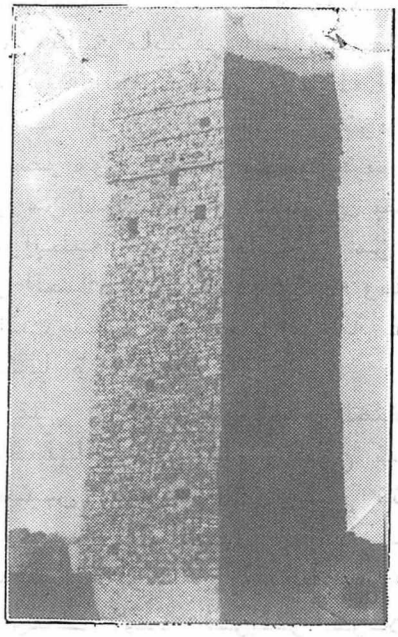

لم تكن الصحراء حاجزا طبيعا بين البحر المتوسط والشمال الافريقي، وبين المناطق الواقعة الى الجنوب منها، بل كانت قنطرة للربط بين الجهتين، وجمعت اكثر مما فرقت، وخاصة بين بلاد المغرب وبلاد السودان، مرورا ببلاد صنهاجة الرمال (شنقيط الاقليم) وكان هذا الاتصال بفعل دخول الجمل في القرن الأول أو الثاني الميلادي حسب اختلاف المصادر في ذلك (1)

ولقد كان الاتصال بين هذه المناطق دينيا وثقافيا وكان كذلك تجاريا، وكانت القوافل تمخر عباب هذه الصحراء جيئة ورواحا سالكة مجموعة من الطرق ابقت لنا المصادر على قدر كبير منها، كذا المحطات التي كانت تتوقف بها(2).

ولكن دخول هدي الاسلام إلى بلاد الملثمين كان الضمانة الفاعلة في عملية الاتصال، والواقع أن إجراء القائد عبد الرحمن بن حبيب المتمثل في حفر سلسلة الآبار بين المغرب وبلاد السودان (من مدينة تامدلت إلى مدينة أودغست)(3)، كان رائدا في هذا الاتجاه وكان هذا الاجراء دما جديدا لحيوية واستمرار هذه الصلة.

ولقد وفر هذا الاجراء اجراء حفر سلسلة الآبار، من تنامى حضور التجار المسلمين، وقد كان رسوخ هدي الاسلام في هذه الاصقاع من اوضح نتائج تنامى هذا الحضور. اذا صبح التجار اكثر جرأة على هذا الطريق وعملوا «على تسرب الاسلام الى ديار صنهاجة الجنوب عن طريق آخر غير الطرق المألوفة من قبل»(4).

ولكن الاسلام لم يترسخ، ويصلب عوده في هذه البلاد التي تجوبها قبائل الملثمين الاحين استوثق الملك الضخم للمتونه «ودوخوا تلك البلاد الصحراوية، وجاهدوا من بها من أمم السودان، وحملوهم على الاسلام فدان به كثير منهم»(5).

ولم يكن، في كل الاحوال، انتشار هدي الاسلام في هذه الربوع الابجهود لمتونه، فلم ينقض القرن 3هـ دون

أن تتكون دولة صنهاجية مسلمة، تجاهد امم السودان على النحو الذي اشرنا اليه وفي ذلك إشارة كافية على رسوخ اسلام القوم.

ولقد كان قيام دولة المرابطين، التاج اللماع الذي يعلو مفرق تاريخنا السياسي والحضاري، كان قيامها منعطفا في تاريخ هذه الربوع، فلقد استطاعت أن توحد المغرب، وهو مكسب عجزت عن تحقيقه الدول اللاحقة بعدها.

وقد انتصرت على النصاري نصرا مؤزرا من معركة الزلاقة 479هـ مما اطال عمر العهد الاسلامي في الأندلس ورد للعرب هيبتهم، ومجدهم الضائعين.

وإذا كانت الفترة التي اعقبت نهاية دولة المرابطين، وهي الممتدة من بداية القرن السادس إلى القرن التاسع للهجرة إذاكانت هذه الفترة غامضة من تاريخ هذه البلاد السياسي فلانجد مما بين ايدينا من وثائق مايشفى الغليل فيها، أو يعطي الأجوبة الكافية على الأسئلة التي تطرح حولها، إذا كانت هذه الفترة على هذا النحو من الغموض بحيث لا نرى لاهتمام أي من الموحدين أو المرينيين بمهاد الدولة المرابطية أثرا، فإننا نرى، من الشواهد، أن الصلات بين هذه الربوع وبلاد المغرب كانت تنمو وتتوطد خاصة عن طريق التجارة والثقافة.

غير أن أهم أثر لهذه الصلات وفادة شخصيات ذات علم وصلاح نسب إليها تأسيس أهم الحواضر التي ننظم نحن اليوم حولها، وحول تراثها هذه الحلقة العلمية، ذات المغزى البعيد.

وكانت هذه الحواضر موئلا للقبائل الصنهاجية التي كانت تسيطر على المسالك والقائمة بدور الوسيط بين طرفي التبادل.

ومن هذه المدن وادان وشنقيط.

أولا: وادان:

تقع مدينة وادان في الناحية الشرقية من هضبة آدرار ويظهر أن منطقة تأسيسها ملائمة للاستقرار والتحضر فتدل الآثار "اللقى الأثرية والحجارة المتناثرة" الممتدة: من وادي الرقوية في الغرب وحتى الريشات في الشرق(6)، قدم الاستقرار في هذه الربوع، ذلك أننا سنلاحظ إذا مررنا عبر الطريق القديم المؤدي إلى وادان من شنقيط على مسافة ضئيلة من واحة تنوشرت القريبة من تينيكي، أنه توجد بقايا وأطلال الأبنية التي جرفتها السيول وتطوق وادان المدينة أطلال القرى القديمة المعروفة "تفرلة، تامگونه، كولانه" هذا إلى جانب الگصيبه التي قد تكون المركز البرتغالي الذي نعرفه في الوثائق، وكانت نشأته في نهاية القرن الـ15 م.

وقد تعاقبت مجموعات بشرية على الاستقرار في هذه المنطقة، إذ سكنها البافور، الذين حلت محلهم قبيلتا تفرله وتامگونه(7) وهما قبيلتان من مسوفة.

تأسيس المدينة:

إن الروايات المتعلقة بتأسيس المدينة تجمع على أن تأسيسها كان سنة 536هـ(8)، من طرف جماعة من العلماء لهم مكانة سامقة في المجتمع هم: الحاج عثمان (من الأنصار) والحاج يعقوب (من قريش) والحاج علي (من صنهاجة)، وقد التحق بهم عبد الرحمن الصائم في فترة لاحقة.

ومن يقرأ الروايات التاريخية المتعلقة بهذه الفترة فلن يرى غرابة في وفادة هذه الشخصيات، فقد فرت أغلب الشخصيات التي لها أدنى صلة بالمرابطين من بطش واضطهاد الموحدين الذين ينعتون المرابطين بالمجسمين.

وقد ذكر الطالب أحمد بن طوير الجنة في سياق الحديث عن تأسيسها أن وادان مدينة أسست على التقوى(9).

التسمية:

إن الرواية المعتمدة الآن في تسمية وادان مؤسسة على رواية الطالب أحمد بن طوير الجنة المتوفى 1265هـ 1855م عن شيخه سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي في رحلته إلى الديار المقدسة وهي أن: "أصل اشتقاق وادان تثنية واد من العلم وواد من النخل."(10).

ولكن الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار الكنتي يرى أن ودان كان يدعى انوالان وأنه معناه بالبربرية ذو الملاحس، وأنه كان دويرات وأخصاص قبل توطن إيدوالحاج له(11)، وقد وردت التسمية عند الحسن بن محمد الوزاني (ليون الإفريقي) دون صيغة تثنية هكذا: ودان(12).

وقد رجحنا، من باب الرأي، أن تكون تسمية ابن طوير الجنة وادان ربما تسمية لاحقة لتأسيس المدينة، وتعتبر بالتالي مرحلة من مراحل تطورها، ومن ثم تكون تسمية التأسيس هي تسمية الشيخ سيدي محمد الآنفة الذكر.

وقد تكون وادان حتى تحريفا تم عند القراءة لواران ومن ثم دون بالشكل الذي استقرت عليه التسمية.

ونحن ذهبنا هذا المذهب للتقارب في الشكل بين التسميتين. ومع كل هذا فإن تسمية ابن طوير الجنة تبقى أكثر ملاءمة لواقع المدينة الثقافي والزراعي.

الدور الثقافي:

نسارع إلى القول بأن التداخل شديد بين الوظيفتين العلمية والتجارية للمدن التي تتناثر على حواف مسالك التجارة الصحراوية. فهذه إن أمها العارض والطالب فإن المتعلم والعالم يؤمانها كذلك.

ففي مضمار التعليم فإن المشتغلين بهذا الحقل يفقهون أن التعليم في المحاظر يعود في هذه البلاد إلى المعلم الأول عبد الله بن ياسين المتوفى سنة 451هـ الذي أتى به يحيى بن إبراهيم الگدالي لهذا الغرض، وعند أوبة(13) أبي بكر بن عمر من المغرب قدم معه إلى المنطقة الإمام الحضرمي المتوفى 486هـ وإبراهيم الأموي، وقد كان معلما وقاضيا للأمير ولئن عرفت الفترة التي اعقبت نهاية دولة المرابطين بعض الركود الثقافي، فان هذه الربوع ستشهد وفاده شخصيات على النحو الذي .....، في مقدمتهم الشريف عبد المؤمن، جد شرفاء تيشيت، وصحبه الحاج عثمان. ومعلوم لدينا انهما كانا من تلاميذة القاضي عياض.

وتلا الحاج عثمان صحبه الذين اشرنا اليهم في مرحلة تأسيس مدينة وادان، وستكون مدينة وادان اول محظرة بعد عهد المرابطين.

وقد تنامت في وادان العناية بالمعرفة، وجلبت إليه المتون من المغرب والمشرق، مما خلق نهضة مبكرة في مدينة وادان وصلت اوجها في القرنين 10 و 11 هـ، واصبحت وادان قبلة الطلاب ومثابة العلماء ومنهم على سبيل المثال:

-محمد بن احمد بن أبي بكر الذي يعتبر أول مؤلف من بلاد شنقيط بعد الامام الحضرمي صاحب كتاب الاشاره الى تدبير الاماره، ذلك ان محمد هذا يعود اليه تأليف شرح خليل المعروف ب (موهوب الجليل على شرح مختصر خليل)(14).

- سيدي عبد الله بن محمد (ابن رازگه)(15)

- الطالب محمد بن الاعمش

-سيدي احمد الفزازي بن محمد بن يعقوب الذي يعتبر أول من ادخل الحطاب لمختصر خليل الى وادان.

- الطالب احمد بن اطوير الجنة الذي تتلمذ على سيدي عبد الله بن الحاج ابراهيم، ومارس التدريس في وادان،

وقام برحلته المعروفة الى البلاد المقدسة، وتعتبر رحلته من عيون المصادر التاريخية للمغرب الكبير، فقد اودع فيها كل ملاحظاته وتأملاته، والاحداث المعاصرة له فيها، وقد تحدث الطالب احمد عن وضعية العلم والعلماء في وادان، وهو من اهلها، قائلا: «وكثرة العلم والعلماء في وادان في الزمن القديم يصدقها لقبه وهو لفظة وادان».

وقد ردد البيت الذي ذكر أن شيخه سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم يردده دائما في السياق:

وقلما أبصرت عيناك ذا لقـــب إلا ومعناه إن فكرت في لقبه(16).

وقد استمرت نهضة وادان العلمية إلى منتصف القرن الثالث عشر للهجرة.

أما في المضمار التجاري فإن شهرة وادان التجارجية وتألقها وهي في قلب الصحراء مرده إلى عاملين رئيسين:

1 - الموقع الممتاز الذي تحتل على طريق التجارة الصحراوية.

2 - ما تتوفر عليه من مواد تجارية مثل: الملح الذي كان ينـــقل منها إلى السودان(17).

أما أهم المسالك التي كانت تربط وادان بالمغرب والسودان فهي:

1 - الطريق اللمتوني الذي يبدأ من تلمسان وفاس، ويتجه نحو سجلماسة ودرعه ثم يتجه نحو وادان ومنها إلى تيشيت وولاته أو إلى تيمبكتو مباشرة(18).

2 - الطريق الذي يمر بتوات وتغازه، وقد ارتبطت وادان في وقت لاحق بمسلك آخر يربطها بالسينغال وحتى بآرگين.

وقد أشار ابن طوير الجنة إلى وفرة العمارة بين وادان وتيمبكتو وبين وادان وتيشيت قائلا "لا تبيت إلا في عمارة، ولا تقيل إلا في عمارة من كثرة العمارة والأخصاص بين هذه المدائن، وقد رأينا مصداق ذلك لأنك لا تمر بمكان إلا ورأيت فيه خزف القدور مكسرة"(19).

أما السلع التي كانت موضوعا للتبادل فهي: المواشي والمصنوعات الجلدية والذهب والخشب وريش النعام والحبوب والملح والتمور والأقمشة والمفروشات والكتب، وهذه البضائع هي سلع الشمال والجنوب ولذلك فليس بدعة أن تستقطب هذه المدينة التجار من كل الأصقاع من المغرب الإسلامي والسودان ومن أوروبا.

وقد وصل إليها التجار اليهود إذ وقفت على أنقاض لبيوت بمدينة وادان حدثني السكان أنها بقايا لحي يهودي من التجار.

غير أن الإشارة تجدر إلى أن التحول الذي نعرفه جميعا، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، هذا التحول من المسالك الصحراوية إلى سواحل المحيط، كان له أثره البالغ على نشاط المدينة التجاري، رغم احتفاظها بتجارة الملح. وكامن من الأهمية في مصارعة هذا التحول بأن أقام فيها البرتغاليون مركزا تجاريا سنة 893هـ 1497م. واستمر سنتين إلى أن أغلقه السكان(20) وكان البرتغاليون يقايضون بضائعهم بالصمغ الذى نعرف أنه إنتاجا أصيلا لهذه الربوع وكانت أوروبا بأمس الحاجة إليه لدخوله مادة رئيسة في صناعتها الناهضة.

وبحكم سموق مكانة وادان العلمية والتجارية وعلو شأوها نادت بها اليونسكو هي وأخواتها (شنقيط، ولاته، تيشيت) مدنا محمية وتراثا إنسانيا مشتركا، وبذلت جهودا مشكورة لتدب الحياة فيها من جديد بما من وافر عنايتها.

ونختتم حديثنا عن وادان بتنويه المدير العام لليونسكو بهذا المدينة "إن وجودها على مفترق طرق فكري، تلتقي فيه الأندلس بأقاصي إفريقيا، جعلها تفتح أبوابها، في آن واحد، لتجارة السلع وتبادل المعارف، وقد استطاعت أن تصبح بذاتها مركزا للإبداع والإلهام ومصدر

إشعاع لحياة دينية غنية ولأنشطة علمية وفنية عديدة"(21).

ثانيا: شنقيط

أما مدينة شنقيط فإنها تقع في أعالي هضبة آدرار على بعد حوالي 100كلم من أطار على جهة الشرق، وهي بين درجات 27 و20 شمالا و22 و12 غربا. وتتراوح الأمطار فيها ما بين 50 - 75 مم سنويا وتتراوح درجات الحرارة فيها ما بين 18- 20 (من ديسمبر إلى يناير) و36 إلى 38 (يوليوأغسطس) وتعتبر المياه الجوفية المصدر الوحيد للنشاط الزراعي ومكنت هذه، إلى عهد قريب، من إقامة زراعة مروية أساسها غرس النخيل والحبوب، ولكن فترة الجفاف الأخيراة حدت من هذا النشاط وقضت على بساتين كانت تحيط بالمدينة في منتصف هذا القرن.

وقد بنيت شنقيط مرتين في مرحلتين متفاوتتين كانت الأولى سنة 160هـ 770م(22) وسادت مدة ثم بادت، لتنهض من جديد سنة 660 هـ 1262م واستمرت إلى اليوم، مع معاناتها التي رغم التدابير المختلفة -جهد السكان، الدولة، اليونسكو-ما زالت تتفاقم...

وشنقيط معناه عيون الخيل(23) أي الأحساء التي تشرب منها الخيول أو أنها سن قيط(24) أي طرف جبل قيط وهو جبل مجاور للمدينة وقد وردت شنقيط عند كتاب مختلفين فقد ذكر شارح القاموس "ومما يستدرك عليه شنكيت مدينة بأقصى المغرب"(25) وفي كل الأحوال فإن شنقيط عرفت على مر تاريخها بدورها المتميز فقد كانت ملتقى الأفكار والسلع وكانت قنطرة لنقل البضاعتين بين المغرب الكبير والأندلس وبلاد السودان وكانت من أهم محطات مسالك الاتصال بين هاتين المنطقتين، فمن الناحية التجارية عرفت ازدهارا منقطع النظير بالنسبة لشقيقاتها" "وقد خرجت يوما من شنقيط إثنتان وثلاثون ألف بعير موقورةبالملح عشرون لأهله واثنا عشر لأهل تيشيت، وباعت الرفقة كلها في زارا فتعجب الناس أي البلدين أعمر".(26)

أما من الناحية العلمية فقد كان جمهور الزوايا بها(27) وكانت تنيگي على مقربة منها، وفيها ثلاثمائة جارية تحفظ موطأ مالك(28) وقد لعبت دورا ثقافيا متميزا بحكم العاملين السابقين، وقد أهلها لذلك، فضلا عن موقعها، كونها مركزا دينيا، حيث كانت منطلقا للحجيج "وكان الركب يمشي من شنقيط إلى مكة كل عام ويحج معهم من أراد الحج من سائر الآفاق، حتى أن هذه البلاد أعني من الساقية الحمراء إلى السودان إلى أروان يعرفون عند أهل المشرق الآن بالشناقطة"(29).

وقد بدا على ضوء ذلك هذا الدور يتعاظم منذ القرن الحادي للهجرة السابع عشر للميلاد حتى أصبح اسمها علما على كل البلاد نظرا لشهرتها العلمية والتجارية وغزارة علم الخارجين منها، فالنسبة إلى شنقيط تعني في المعاجم سعة الاطلاع علما وأدبا والقدرة المتفاهية على الحفظ، وقد عرف المغرب والمشرف وأوروبا شخصيات فذة مصداق لهذا الرأي أمثال: محمد محمود بن التلاميد التركزي وأحمد بن الأمين العلوي وأبناء ما يابى والشيخ محمد الأمين وقد حظي ما يابى والشيخ محمد الأمين وقد حظي الشناقطة بالاحترام عند الجميع حيث ما حلوا وارتحلوا ولهجت بذكرهم الألسن باعتبارهم مضرب الأمثال في الاستظهار.

وشنقيط بها طراز معماري متميز رغم بساطته، التي زبما كانت سرا لجماله. فمن ينظر إلى منارة مسجدها التي ذكر سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم المتوفى 1233هـ أنه مضى على بنائها نيف وأربعمائة سنة(30) والتي رصت الحجارة

فيها بإحكام تحدى عاديات الزمن، سيندهش لروعتها.

والمنارة دون غيرها من أهم مميرات شنقيط الحضارية اعتبارا لذلك واعتبارا لأنها تحوي مكتبة تضم مجموعة من أنفس المخطوطات في البلد فإن منظمة اليونسكو نادت بها إرثا إنسانيا ومدينة محمية وقامت كذلك بحملات وأنشطة ثقافية وفنية استهدفت التعريف بها وجمع المال اللازم لمساعدتها على البقاء بعد ما هددتها عوامل: (التصحر، الهجرة التدريجية عنها...)

وقد بذلت الدولة جهودا مذكورة في ذات المضمار توجت بإنشاء مؤسسة لحماية المدن القديمة، وشنقيط من بينها، وذلك من أجل استمرار الحياة فيها.

وهي اليوم تصارع بمشقة وصمود العزلة والتصحر وغيرهما من عوامل الفناء... وإن تنظيم هذه الحلقة فيها بجهد مشترك بين وزارة الثقافة والتوجيه الإسلامي والمركز الدولي لدراسة الصحراء والساحل، لبادرة طيبة ولفتة كريمة إلى هذه المدينة التي نعتبرها جوهرة مضيئة في جبين تاريخنا الثقافي، والبادرة طوق من أطواق النجاة من هذا اليم الصحراوي المائج الذي يحيط بمدينة شنقيط...

ففي مثل هذه المبادرة فليتنافس التنافسون.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالي وبركاته.

الهوامش

(1)- إزيد بيه بن محمد محمود: الزوايا في بلاد شنقيط بين قبول الاستعمار ورفضه، بحث لماينشر بعد.

(2)- الخليل النحوي: بلاد شنقيط المنارة والرباط، تونس، 87 ص 94 .

(3) - أبو عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية، طبعة حكومة الجزائر، 1857/ص170

(4)- د.حسن احمد محمود، قيام دولة المرابطين، دار الفكر العربي، د.ت ص68 .

(5)- عبد الرحمن من خلدون، العبر وديوان المتبدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، 6 مجلدات، دار الكتاب للبناني، م6 ص 371 .

(6)- المصطفى بن احمدان، مساهمة في كتابة تاريخ وادان، المدرسة العليا لتكوين الأساتذة، 84 - 1985 ص 19.

(7)- المختار بن حامد، حياة موريتانيا (مرقون م م ب ع، جزء 1 ص 45)

(8)- نفس المصدر والصفحة.

(9)- الطالب أحمد بن طوير الجنة، رحلة المنى والمنة، م م ب ع رقم 2722 ص 62.

(10)- الطالب أحمد بن طوير الجنة، مصدر سبق ذكره ص 61.

(11)- الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار الكنتي، الرسالة الغلاوية، م م ب ع رقم 3273، ص 8.

(12)- الحسن بن محمد الوزان (ليون الإفريقي)، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي، محمد الأخضر، ط 1 ، الرباط19982، ص 116.

(13)- الشيخ سيديا بابه بن الشيخ سيديا، إمارتا إيدوعيش ومشظوف، دراسةوتحقيق إزيد بيه بن محمد محمود، المعهد التربوي الوطني، ط2، 1994، ص 109.

(14)- الخليل النحوي، بلاد شنقيط المناره والرباط، ص: 72،71.

(15)- الطالب احمد، مصدر سابق، ص: 62.

(16)- الطالب أحمد بن طوير الجنة، مصدر سابق، ص 62.

(17)- مساهمة في كتابة تاريخ وادان، ص91

(18)- مساهمة في كتابة تاريخ وادان، ص 95.

(19)- ابن طوير الجنة، مصدر سبق ذكره ص 62.

(20)- الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى، 9ج، دار الكتاب، الدار البيضاء 1945 ج2 ص 21.

(21)- انظر نشرة اليونسكو

(22)- أحمد بن حبت، تاريخ البلاد الشنقيطية، مخطوط م م ب ع رقم 2766 ص 3.

(23)- سيدي عبد الله بن الحاج ابراهيم، م م ب ع ، رقم 3406، ص 5.

(24)- الخليل النحوي، بلاد شنقيط المنارة والرباط، تونس 1986، ص 72.

(25)- السيد مرتضى الزبيدي، تاج العروس، مطبعة الكويت، 1987، مادة الشقيط.

(26)- صحيحة النقل، مصدر سابق، ص 9.

(27)- المختار بن حامد، الحياة الثقافية، الدار العربية للكتاب، 1990، ص 6.

(28) - نفس المصدر،ص 5.

(29) - صحيحة النقل، ص 7.

(30)- صحيحة النقل، ص 6.

المخطوطات العربية القديمة في موريتانيا

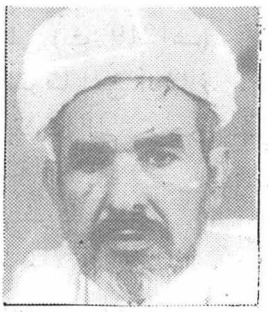

محمد المصطفى بن الندى
باحث بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، سأتناول في هذه العجالة كما اشرت لذلك في رسالتي الجوابية النقاط التالية:

- تأطير عام حول المجال المكاني والمِهاد الزماني المؤطران للثقافة الموريتانية.

1 : أوليات المخطوطات الموريتانية

2 : مسألة الحفظ والصيانة

3 : الترتيب

4 : الدراسات

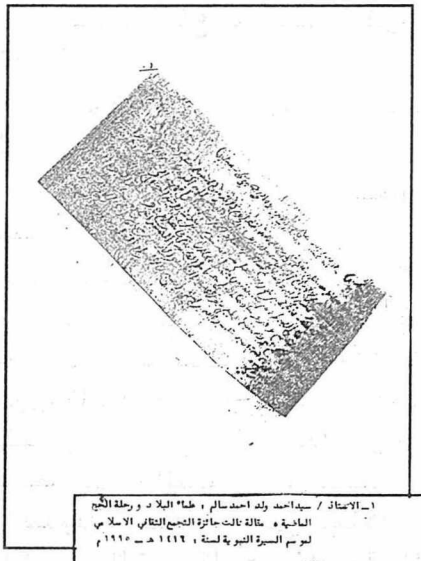

تأطير عام حول المجال المكاني والمهاد الزماني المؤطران للثقافة الموريتانية:

المجال المكاني: وهو أوسع من حدود الجمهورية الاسلامية الموريتانية الراهنة إذ يتداخل مع بعض الدول المجاورة، تلك المنطقة التي عرفت اسماء متعدة وتموجات ونقلات بشرية جراء العوامل الطبيعية: الجفاف، الحروب ... وعرفت أسماء متعدة:

ومن تلك الاسماء:

1) - صحراء الملثمين،

2) - بلاد التكرور،

3) - شنقيط،

4) - المجابة الكبرى،

5) - اتراب البيظان،

6) - موريتانيا الاسم الذي اطلقه الاوربيون على البلاد،(1)

الحدود

هي كما في فتح الشكور في اعيان علماء التكرور للطالب محمد ابن ابي بكر الصديق

البرتلي (ت: 1219هـ).

- شرقا إلى آدغاغ.
- غربا الى بحر بني الزناگية "نهر السينغال"
- جنوبا بيط.
- شمالا آدرار (2)

وحسب احمد بن الامين صاحب الوسيط أنها:

- شمالا: الساقية الحمراء وهي تابعة له
- جنوبا: قاع بن هيبه «غورغل» وهي تابعة له.
- شرقا: ولاته والنعمة وهما تابعتان له.
- غربا: سينگال أو سينغال المعروفة عند اهل شنقيط اندر.

وعند المختار بن حامد في كتابه حياة موريتانيا تقول فقرة من الكتاب: "ان الكتاب يتحدث .. بالاضافة الي موريتانيا -طبعا- عن المناطق الاخرى المجاورة التي تربطها وحدة اللغة والعادات والتقاليد والنسب والتاريخ والحدود «عنده» هي:شمالا: الصحراء الكبرى التي كانت خاضعة للاستعمار الاسباني: مضارب بعض قبيلتي الرگيبات وتجكانت جنوب غربي الجزائر.شرقا: مضارب، قبائل كنته والبرابيش والعناصر العربية الاخرى.

الاطار الزماني

مما لا خلاف فيه بين المؤرخين أن أصول المعرفة العربية المكتوبة تعود الى بداية عهد المرابطين، وحجة يحيى بن ابراهيم الگدالي سنة 427هـ(3) ولقائه في عودته بأبي عمران الفاسي وطلبه معلما للخير فكان ان وجهه الى احد تلامذته في السوس وهو اوجاج بن زلو الذي أوفد معه الفقيه عبد الله بن ياسين مؤسس رباط المرابطين اول نواة للمعرفة.(4)

وقد تشكل بعد هذه البداية صرح ثقافي متميز تجلى في التراكم الثقافي والموسوعية المعرفية والانكباب على مختلف فنون الثقافة الإسلامية، كل هذا في غياب تام للمرافق العمومية التي تؤطر وتنمي الثقافة. إن الثقافة الشنقيطية ثقافة بدوية محضة لم ترعها سلطة بل نشأت بذاتها في إطار المؤسسة التربوية العريقة التي انفرد الشناقطة بها ألا وهي المحظرة. ولا يفوتنا أن نشير إلى أن هذا التميز لا يتفق مع ما ذهب إليه العلامة الجليل عبد الرحمن بن خلدون الذي يذهب إلى أن العلم صناعة حضرية.وبعد التأطير يطرح السؤال نفسه: متى ظهر المخطوط في هذه الرقعة وكيف؟ وماذا كتبوا وأين؟يقول المؤرخ ابن حامد «باستشهاد ابي بكر بن عمر 480هـ سكتت المصادر المختلفة عما جرى في الصحراء(5) «موريتانيا»، وهنا نصل لنقاط الموضوع.

1. أوليات المخطوطات الموريتانية

أ)-قديما:

ان النصوص المتوفرة لاتعطى جوابا شافيا عن اول المخطوطات في البلدة -ولها العذر في ذلك -فحياة المنطقة حياة تنقل اثر القطر وبحث عن العشب،

- وأول نص كتب على أديم هذه الرقعة حسب المراجع «كتاب الاشارة في تدبير الامارة لمحمد بن الحسن الحضرمي المرادي 489هـ والذي انتدبه المرابطون معلما بعد ابن ياسين.(6)

- ووجدنا بعد ذلك اسئلة لمن سمي نفسه اللمتوني ولو لم يدونها السيوطي عبد الرحمن في الحاوي على الفتاوي(7) لما عثرنا عليها.

– ونجد بعد ذلك نصا فقهيا ثالثا: هو موهوب الجليل على مختصر خليل لمحمد بن ابي بكر الحاجي الوداني الذي كان حيا سنة 933هـ (9).

– ويحدثنا احمد بابا التنبكتي الاقيتي التكروري «موريتاني» كما ذكر هو(10) في كتابه نيل الابتهاج بتطرير الديباج بحوالي 9 نصوص منها:

– شرح منظومة للمغيلي في المنطق.(11)

– حاشية علي مختصر خليل لأحمد بن سعيد سبط محمود ابن عمر ت 831هـ.

– مؤلف في التصوف.

– حاشية على هفوات الشيخ خليل.

– فتاوي فقهية لأبي بكر بن احمد بن اعمر بن اقيت ولد 832هـ وتوفي 991هـ.

– شرح على مختصر خليل في 2 ج، لمحمد بن اعمر بن اقيت الصنهاجي المسوفي «قبيلة موريتانية» ولد 868هـ، وتوفى 15 رمضان 955هـ، قاض بتنبكتو(12) وسكتت اقلام الحقبة او سكتت عنها الاقلام او لفها الظلام الى اول ق 12هـ حيث ظهرت نصوص كتبها عالم موسوعي هو: محمد بن سعيد اليدالي ت 1166 هـ والذي كتب في شتى مناحي المعرفة: الذهب الابريز على كتاب الله العزيز في 4 مجلدات، وشيم الزوايا، وامر الولي ناصر الدين، والنصيحة اللفعة وقد طبعت النصوص الاخيرة بتحقيق الاستاذ محمذ بن باباه(13)

المربي شرح صلاة ربي(14)

تبع ذلك صاحب فتح الشكور في اعيان علماء التكرور لمحمد ابن ابي بكر الصديق البرتلي ت 1219هـ الذي زودنا بلائحة من المخطوطات محدودة من خلال ترجمته لحوالي 200 عالم، وعقب عليه تلميذه الطالب بوبكر بن أحمد المحجوبي الولاتي ت: 1335هـ 1917م في كتابه منح الرب الغفور في ما أهمل صاحب فتح الشكور ضمنه حوالي 300 نصا لـ185 عالم حسب جمع وتقديم محمد الأمين بن حمادي (مرقون).

وتلت ذلك نصوص في التاريخ والمناقب والكرامات على نطاق اضيق.

اهم ماتبع ذلك : كتاب الوسيط في تراجم ادباء شنقيط احمد بن الامين ت 1331هـ1913م(15)، وقد ترجم لحوالي 82 شخصية على أنهم شعراء، وتجاهل الفقهاء كما صرح بذلك عندما قال «لم اترجم في هذا الكتاب الا من رويت له من الشعراء الاموات سواء كان عالما او غيره (16).على أن الذين ترجم لهم أنهم شعراء من بينهم من له أكثر من مائة مؤلف في شتى فروع المعرفة مثل الشيخ سيدي المختار الكنتي 1226هـ (17) وتلميذ الشيخ سيدي بن المختار بن الهيبه 1286(18)والشيخ ماء العينين 1328 (19)، وقد طبع منها 160.

وعلق على صاحب الوسيط يوسف مقلد اللبناني في كتابه شعراء (موريتانيا القدماء والمحدثون) وزاد على الوسيط زيادات طفيفة ونشر نصوصا غير شعرية مثل نظم الثقلاء للشيخ عبد الله السالم بن محمد بن حنبل(20) وصناعة العيش لأبي بكر بن محمد الفاضلي(21) ونتفا شعرية أخر لحوالي 32 شاعرا وتحسر وتأسف على اندثار شعر امحمد ولد ابن بن احميدن(22) علي الرغم من قرب العهد وحمل الجهات الشعبية والرسمية المسؤولية.

ب) حديثا:

لم يحظ المخطوط الموريتاني بما حظي به غيره من دراسة وتمحيص نتيجة عوامل النجعة وعدم الاستقرار، إلا أنه ورد ذكر للمخطوط الموريتاني في إبان الاحتلال الفرنسي وبعيد الاحتلال من طرف بعض الضباط والاداريين واساتذة اوربيين من ذلك:

1)-يذكر النقيب الفرنسي غوستاف أودان في دراسة له عن المحاظر في گيدماغا 1908 (23)، حيث قال: الفا عمر صو: 1840 ببلدة الملگه طريقته في التصوف التيجانية شيخه الحاج عمر له مكتبة حرقها العقيد افرى.

-عبد كويتا 1862م ببلدة جوگونتور طريقته في التصوف السنوسية له مكتبة حرقها العقيد افري.

- علي سوماري 1849 ببلدة مولوسينو غيديماغا طريقته في التصوف: التيجانية له مكتبة حرقها العقيد افري.

2)- وفي تقرير سري لوالي موريتانيا رقم 768 T.O 1944/1/26 تقول فقرة منه: "إن موريتانيا كانت منطقة تمثل فيها الثقافة أعلى مراقي المجد وعلى ذلك تبرهن مدارس عديدة ومكتبات مهمة من بينها مكتبة شنقيط التي مازالت تعد مجلداتها ب 700 مجلد.

3) في سنة 1962 نشرت وكالات الأنباء ان الاستاذ نوريس استاذ انگليزي محاضر في كلية الدراسات الشرقية والافريقية في لندن زار موريتانيا وقدر أن في موريتانيا 2000 مخطوط لايزال من الممكن انقاذها... ومن جملة هذه الكتب تفسير للقرآن الكريم كتبه ابو هلال العسكري العالم اللغوي الشهير ويعتقد الاستاذ نوريس ان التفسير بخط مؤلفه وفي آخره انه نسخ سنة 480 هـ بمدينة غرناطة(24).

4) في سنة 1936 قام المؤرخ المختار بن حامد بعمل بدأه سنة 1936م واستمر فيه زهاء خمسين سنة اطلق عليه اسم حياة موريتانيا مكون من 46 ملفا اتصور ان حجمه بعد الطبع 30 جزء. وخصص حيزا من الجزء الثاني لقائمة مؤلفات موريتانية على أنها رصيد المحظرة الموريتانية في مختلف فروع المعرفة وقد اتي بقوائم أخر أثناء تراجمه لعلماء في مجموعاتهم الاسرية واعتقد انه لو أفرز لكان اكبر عمل ببلوغرافي.

5)- في سنة 65-1966 ظهرت اول دراسة عن المخطوط وتعتبر باكورة عمل منهجي لاحصاء المخطوطات قام بها باحثان هما:

الاستاذ المؤرخ المختار ولد حامد موريتاني الجنسية والاستاذ هايموفسكي سويدي الجنسية وقد حصلا ما مجموعه ح 2054 عنوانا ورتباها ترتيبا معجميا حسب المؤلفين الـ 394 مؤلفا (بصيغه اسم الفاعل)

والقائمة مبدوءة بأبا المختار بن حبيب الله الحسني ت 1200هـ له نظم الشتات في الشوارد والمهمات، وختماها بوالد ابن خالنا ت 1212هـ وله: كرامات اولياء تاشمشه.

ثانيا حفظ المخطوط وصيانته

قبل الدخول في تفاصيل هذه النقطة يجب ان نشير الى ان القرائن تدل على ان هنالك جمعا لابأس به للمخطوطات ولذلك اسباب منها:

رحلات الحج، والشراء بالغالي والنفيس، والاستنساخ إن عز الشراء، فقد بذل في استنساخ نسخة من القاموس 12 بعيرا (انظر الملحق 1 وهو صورة من الصفحة الأخيرة من ج2 مخاطة بخيوط من القماش وتوجد بمقطع الحجار بالبراكنة في مكتبة اهل عبد الدائم) .

واشترى سيدي عبد الله ولد الحاج ابراهيم العلوي ت 1233هـ شرح الحطاب لخليل بفرس من عتاق خيل مصر(25) ولدينا ورقة بخطه يبشر فيها اهل تجكجه بقدومه من الحج ومع الرسالة ثلاثة احمال من الكتب (انظر الملحق 2).

وجاء الشيخ سيدي الأبييري ت 1286 باثني عشرجملا موقرة بالكتب من

مراكش بالمغرب ويوجد احد صناديق هذه المكتبة بالمتحف الوطني مقاسه امتر طولا X 53 وما زالت آثار شد الحبال بادية عليه، وذكر ابن طوير الجنة الوداني الحاجي ت 1265هـ انه اهدي له حمل ثلاثين بعيرا من الكتب في عودته من الحج.

ومكتبة محمد محمود بن التلاميد التركزي الشنقيطي .ت 1905م تشكل جناحا اساسيا من مكتبة دار الكتب بالقاهرة، وقد اصبحت عبارة النسخة الشنقيطية نسبة الى هذا الشيخ نموذج الصحة والدقة، وتشكل ملاحظاته وهوامشه الموجودة بكتبه المخطوطة نموذج الضبط والاجتهاد.

وقد صحح التركزي كتاب الأغاني للأصفهاني والمخصص لابن سيده الاندلسي، وصحح وضبط القاموس المحيط بالشكل وحقق دلائل الإعجاز للجرجاني.

وتنقسم الصيانة الى:

- الاعتناء بالمواد المستخدمة كمعالجة الورق واستيراده والبحث عنه ومن امثلة ذلك رحلة محمد اليدالي ت 1166هـ الشاقة والمضنية الى اكادير دوم وهو ميناء اوربي على شاطئ المحيط أنشئ سنة 849هـ/1043م (26) غير بعيد من انواذيبو اليوم، سافر اليه اليدالي للحصول علي الورق(27) وفي نطاق الاعتناء بالورق يقومون بعملية تدليكه بالحجر الناعم، ويقول اليدالي في مقدمة كتابه الذهب الإبريز:

فأعني يا ذا الجلال عليـــــــهوأعن من يعينني يا من يعين

بمداد أو مزبر أو بدلـــــــــكللقراطيس إذ بذاك تليـــــن(28)

وكما اعتنوا بالورق اعتنوا كذلك بالحبر وتفننوا في صناعته وهو خليط من عناصر بنسب محددة:

-نصف المحلول من الصلاحه (القرظ ثمرة الغضا وهو آمور).

- ربع المحلول من صدإ الحديد.

- الربع الأخير من الصمغ العربي (العلك) ويخمر ثلاثة أيام في مكان مشمس دافئ، وتساهم هذه العناصر في تثبيت المحلول واعطائه لونا معينا ويعجل إنجاز المحلول أحيانا بالطبخ.

ويقول احدهم: "محفوظة محظرية"

-جزءان من قرظ وجزء من سواد، والرابع الكندر تم ذا المداد.

أما التلوين فيكون اساسا بالمغرة (الحميره) يخلط مع الصمغ للون الاحمر، واللون الأخضر بنبات يسمى يرتمه اما الاصفر فبورق شجر تلولاكت.

وتخضع الكتابة داخل الورقة لفنية صارمة تمنع المخطوط من التلف وذلك بترك مساحة اصبع على اليمين واصبعين من فوق وثلاثة اصابع من اليسار واربع من الاسفل ويلخصونه بعبارة أ ب ج د.

ويجعل المخطوط في وعاء جلدي ذي هيئة خاصة تناسب حجم المخطوط تلصق اطرافه بمواد والياف خاصة (نشاء الدخن، الذرة، تجمخت) وطريقة التجليد تقوم على اختيار جلد قوي (من البقر او الابل أو المها) يقطع على شكل جفير علي مقاس المخطوط، ويخاط له غلاف "تلويشت" من جلد الخراف يكون صوفها داخلي.

ويختلف اهل المدُن عن اهل البدو في طريقة الصيانة اذ يفتح اهل المدن مربعات داخل الجدران مسدود من الخلف ويفتحون للتهوية نوافذ صغيرة بينما تستعمل الآلات الجلدية الكبيرة في البدو (تاسفره وهي حقيبة جلدية كبيرة، تزاية وهي الهودج أو مركب نسوي صالح للجعل على الخيل والحمير والإبل والثور وتحشى بالحشيش) للصيانة.

اما الترميم فيخضعون الورق لترميم خاص (الالصاق الخياطة انظر الملحق الأول)، كما تخضع الكتابة كذلك للترميم بالإعادة حبر مماثل اواستنساخ الاوراق

التالفة.

واستحدث الشناقطة تقاليد صارمة يربى عليها النشء لحفظ وصيانة المخطوط، كإبعاد الماء عن الكتب المخطوطة وربطوها بالغيبيات وذلك بقولهم إن الشيطان لا يكل إفساد المخطوط إذا حرك بأزائه الماء إلى أي من أعوانه بل يتولاها بنفسه، واستعملوا الامثال التي تحث على حفظها:

-آفة الكتب العارية،

- الكتب طلبهم مافيه ش واحكيمهم مافيه ش،

- من فارق الاسودين سود الله قلبه ومن الأسودين الكتاب،

- الناس الا تحت اكتاب ولٌ اركاب،

لابد للزاوي من كناش يجمع فيه العلم وهو ماشي.

- كتاب الكف معرض للتلف، والمثل تعليمي لكيفية تصفيف الكتاب بحيث لا يضرب بالكف بل يسوى بوضع ورقة على أخرى ليلا تتلف حوافه بالضرب.

- الكتاب ما يخل كون في بلد يكدر يمضي فيه عام.

- ورگه واحدة ما يرفدها يكون جاهل.

وقد أدهشت هذه التقاليد والنتائج المستشرق الانكليزي نوريس لما زار شنقيط 1962 ورأى كتاب تصحيح النظائر والوجوه لأبي هلال العسكري المكتوب بغرناطة بالأندلس في القرن الرابع الهجري فقال: (هذا المخطوط احتفظ به اصحاب البدو بعناية شأن المخطوطات داخل مغلفات جلدية انتقلت عبر القرون من جيل الى جيل)(29)

ثالثا الترتيب:

وقد استحدث مع المؤسسات الحديثة كالمعهد الموريتاني للبحث العلمي ومعهد الدراسات الإسلامية المؤسستان اللتان تعتنيان بجمع المخطوطات العلمية، ومع أنهما مازالا في بداية تجربتهما فقد طورا طرقا تقوم على الترتيب حسب المؤلفين وحسب الموضوعات (ترتيب مزدوج)، وتحاول بعض المكتبات الأهلية في الداخل ادخال المعلوماتية وطرق الفهرسة الحديثة الى مخزونها (ولاته كما اطلعت في الشهر الماضي 18 / 9 / 1995 على ذلك).

رابعا الدراسات:

تعتبر الدراسات التي تناولت المخطوط الموريتاني حديثة وقد ساهمت مؤسسات التعليم العالي بدور بارز في هذا المجال فالمدرسة العليا لتكوين الأساتذة قامت بتوجيه طلابها الى ميدان تحقيق المخطوطات وكذلك كلية الآداب بجامعة انواكشوط ويقوم المعهد العالي للدراسات والبحوث الاسلامية الذي تبلغ مكتبته حوالي 2000 مخطوط (قمت بفهرستها سنة من 1990 الي 1994) يقوم بتوجيه طلابه اثناء اعدادهم لشهادة المتريز لتحقيق المخطوطات الموريتانية واعداد معلمات للمؤلفين والمؤلفات في هذه البلاد وقد اشرفت سنة 1992 على مذكرة بعنوان التأليف والمؤلفون بمنطقة الترارزه وما زلنا نتابع نفس الخطوات.

ولمعهد ابن عباس دور في مجال تحقيق المخطوطات الموريتانية.

ومن ابرز المنشورات التي تعرضت بهذا المجال كتاب الشعر والشعراء للدكتور محمد المختار ولد اباه (تونس 87) الذي اورد فيه كثيرا من النصوص لاربع وتسعين شاعرا. ويعتبر كتاب الخليل النحوي بلاد شنقيط المنارة والرباط (تونس 1987) نموذجا هاما للتعريف بالنشاط التأليفي الموريتاني.

ومن النصوص غير المنشورة اطروحة الباحث محمد الحافظ بن المجتبى وهي بعنوان الحديث وعلومه في موريتانيا قدمت بجامعة محمد الخامس 1990،

تعتبر رائدة في هذا المجال الهام من الثقافة العربية الاسلامية.

ان البحث في مجال المخطوطات الموريتانية مازال بحاجة الى الكثير الكثير، وما زالت هنا وهنالك مجاهيل وكهوف وأحياء بدوية ومقابر وخربات في مدننا التاريخية وغيرها فمن لها؟ وهل لنا أن تتعاون جميعا على إنقاذ هذا الصرح الحضاري المتميز.

الهوامش

(1)- حياة موريتانيا للمختار بن حامد، 3 / 8 وما بعدها، ط دار الغرب الإسلامي بيروت 1414هـ 1993م.

(2)- فتح الشكور ص: 26 ط دار الغرب بيروت 1401هـ 1981م تحقيق محمد ابراهيم الكتاني محمد حجي.

(3)-حياة موريتانيا للمختار بن حامد ج 28/1 تحت الطبع.

(4)- حياة موريتانيا، المختار بن حامد، ج 1/ ص ٢٨.

(5)- حياة موريتانيا للمختار بن حامد ج41/1 تحت الطبع.

(6)- الاشارة في تدبير الامارة طبع مرتين احداهما بتحقيق د: سامي النشار، ط دار الثقاة المغربية 1401هـ ، 1981م.

(7)- الحاوي للفتاوي عبد الرحمن السيوطي ج 284/1 ط.

(8)- حياة موريتانيا للمختار بن حامد ج 4/2 النسخة المرقونة.

(9)- مقدمة نيل الابتهاج ط: طرابلس ليبيا 1989م.

(10)- نيل الابتهاج احمد بابا ص 597 مصدر سبق.

(11)- نيل الابتهاج بتطرير الديباج 607 مصدر سبق.

(12)- نصوص من التاريخ الموريتاني، لمحمد اليدالي، تحقيق محمذن بن باباه، ط بيت الحكمة بتونس 1988.

(13)- متدوال وموجود بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي تحت رقم 2497.

(14)- مقدمة الوسيط ص 1 ط 3 القاهرة 1380هـ/1961م.

(15)- الوسيط، ص \578

(16)- حسب قوائم زاوية الشيخ سيد المختار الكنتي.

(17)- حسب دراسة اجريتها شخصيا.

(18)- حسب دراسة اجريتها شخصيا وقد طبع منها 160 في المغرب.

(19)- يوسف مقلد مرجع سابق 255.

(20)- المرجع السابق ص 581.

(21)- جمعه وحققه الاستاذ احمد حبيب الله كأطروحة لنيل الماجستير جامعة القاهرة 1989م.

(22)- النص مخطوط بالمكتبة الوطنية وبحوزتنا ترجمته العربية.

(23)- وحسب مشاهدتنا. وللعلم فهناك مخطوطات أخرى لا تقل أهمية عن المخطوط المذكور ففي المعهد الموريتاني للبحث العلمي كتاب مروج الذهب للمسعودي مكتوب على رق الغزال بدون رقم وكتاب معاهد التنصيص على شواهد التلخيص في علم العربية بخط المؤلف عبد الرحيم عبد الرحمن العباسي نهايته 22 رمضان 934هـ تحت رقم 3040 م م ب ع، وفي مكتبة محظرة أهل اباه بالنباغية كتاب عمل من طب لمن حب نسخ في غرناطة في حياة المؤلف، ويوجد كتاب القلصادي في الرياضيات منسوخ بغرناطة أيضا.

(24)- الوسيط ص: 38

(25)- ابن حامد: حياة موريتانيا ج 2ص 264.

(26)- اليدالي: المربي على صلاة ربي مخطوط، نسخة م م ب ع رقم 2497 ص: 6.

(27)- الذهب الإبريز: اليدالي، ج 1 ص 4، نسخة م م ب ع رقم 3012 .

(28)- محمد المصطفى بن الندى مناهج التدريس المحظري ص: 14

(29)- يوسف مقلد شعراء موريتانيا ص: 328

مراجع البحث:

- حياة موريتانيا: المختار بن حامد (مرقون)

- فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور: ابن بنان البرتلي (دار الغرب الإسلامي، تحقيق محمد جحي وإبراهيم الكتاني 1981 بيروت)

- الحاوي للفتاوي: جلال الدين السيوطي (دار الفكر بيروت د. ت.)

- الإشارة في تدبير الإمارة: محمد بن الحسن الحضرمي (تحقيقد. سامي النشار / دار الثقافة المغرب 1981)

- نيل الابتهاج بتطريز الديباج: أحمد بابا التنبكتي (1989 طرابلس ليبيا)

- المربي شرح صلاة ربي: محمد اليدالي (مخطوط رقم: المعهد الموريتاني

- الذهب الإبريز في تفسير كتاب الله العزيز: محمد اليدالي (مخطوط رقم: المعهد الموريتاني للبحث العلمي). للبحث العلمي).

- الوسيط في تراجم أدباء شنقيط: أحمد بن الأمين العلوي: (القاهرة مكتبة الخانجي ط 3 ..196)

- شعراء موريتانيا القدماء والمحدثون: يوسف مقلد (بيروت 1962)

المقالات:

- علماء البلاد ورحلة الحج: سيد أحمد بن أحمد سالم (1995)

القوائم:

- مخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي

- مخطوطات المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية

المراجع الأجنبية:

- المحاظر في گيدي ماغا: الضابط الفرنسي كوستاف أودان

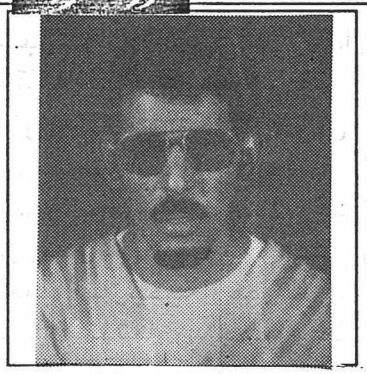

المخطوطات العربية والاسلامية في دول الساحل

أحمد ولد محمد يحيى
رئيس قسم المخطوطات
في المعهد الموريتاني للبحث العلمي

إنني أعتذر لكم بين يدي هذاالحديث السريع وماقد يكون فيه من قصور وتقصير يعودان إلى أسباب عدة منها :

1-تأخر علمى بالمشاركة في هذه الندوة التي لم يسبق لي بها علم قبل أسبوعين فقط من هذاالموعد .

2 -تشعب الموضوع وتنوع جوانبه، وهذا لابد للباحث أن يكون على اطلاع بالمخطوطات في جميع دول الساحل التي لانعرف عن بعضهاالكثير .

3-ضيق الوقت الذي يبقى سيفه مسلولاعلى المتحدث في ظرف زمني كهذاالظرف ورقيبا لايترك للباحث فرصة الاسترسال في مواضيع لايسعها المرورالخاطف ولذلك سأضطر لأن أختصر في نقاط لو تركت على سجيتي لأطلت عنهاالحديث

وقد كان اعتمادي في هذاالحديث بالدرجة الاولى على رحلاتي الميدانية وأبحاثي الدائبة على امتداد الرقعة الوطنية بكاملها ،ومشاهداتي في هذه المدن التاريخية التي ترددت فيها كثيرا خدمة للبحث ورتعت في مكتباتهاالغنية .

كماستندت بالدرجة الثانية على كتب وبحوث ور سائل لبعض الباحثين والمختصين في مجال المخطوطات .

لقد بدأت اللغة العربية في الانتشار في دول الساحل(1) مع دخول الاسلام وذلك منذ أكثر من ألف سنة، وأصبحت اللغة العربية لغة العلم والتأليف والمراسلات والتوثيق، يقول الاستاذ جون هنويك «فقد أصبحت اللغة العربية في تلك الاقاليم اللغة الوحيدة التي يعبرون بها عن أفكارهم ويكتبون بها رسائلهم ووثائقهم ويسجلون تواريخهم ومتى أقبلوا على كتابة بعض لغاتهم الوطنية مثل اللغة الفلانية واللغة الهوصية كتبوهابالحروف العربية وأدخلوا عليها كثيرا من المفردات العربية »(2)

وبفضل انتشاروتقدم النواحي العلمية والادبية كثرت المؤلفات وازدادت رغبة الناس في اقتناء الكتب وجمع المخطوطات فظهرت طبقة الخطاطين المهرة وتنافسوا في كتابة المصحف الشريف وذاعت شهرتهم بسبب عنايتهم بكتابةالمصحف

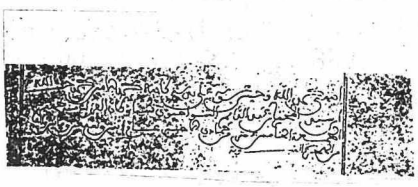

ومابرعوا فيه من فن بديع وتذهيب وتجليد بمختلف أنواع التطريز فضلا عن د ورهم الآخر في كتابة المخطوطات الادبية والعلمية .

وكانت دول الساحل من أكبر البلدان الافريقية عناية بجمع وحفظ المخطوطات .

وقد ظهرت في هذه المنطقة عدة مراكزللثقافة والحضارة الاسلامية أهمها مدينة تمبكتو التي كانت مركزانشطا للتبادل التجاري بين شمال القارة الافريقية وجنوبهاوكذلك حوض النيجرالتجاري النشط فقد كان ملتقى الحضارات العربية الاسلامية والافريقية، وفي السينغال يوجد كذلك اهتمام بالمخطوطات يرجع إلى بداية القرن 19 الميلادي.

وقد أنتج هذاالجزء المهم من العالم الاسلامي مؤلفات علمية ذات أهمية كبيرة استطاعوارغم قساوة الطبيعة وشح الموارد أن يحصلواالعلم ويسهموا في نشره في البلاد الافريقية المجاورة ومابقي اليوم من مكتبات خصوصية ومراكز علمية تعج بنوادر وذخائر المخطوطات في كل دولة لأكبر شاهد على كثرة وتنوع هذه المخطوطات التي ساهمت في بناءحضارة شامخة خلفت ثروة هائلة من المخطوطات في شتى الفنون .

وسوف أعرض في الجزء الاول من هذه المحاضرة بشي ء من التفصيل عن مخطوطات بلاد النيجر ومالي والسينغال على أن أخصص الجزء الثاني منها لموريتانيا وأختتم في الجزءالثالث بمكتبات شنقيط التاريخية .

جمهورية النيجر :

وجدت المخطوطات في النيجرمنذ دخول الاسلام في القرن الاول الهجري على يد الصحابي الجليل عقبة بن نافع، ويمتلك هذه المخطوطات العائلات والافراد عن طريق الكسب أو عن طريق الوراثة وكانت أول مبادرة قيم بها في شأن جمع المخطوطات في هذاالبلد مبادرة الباحث والمؤرخ

«بوبو هما»الذي كرس حياته لجمع وحفظ المخطوطات النيجيرية، وتم إنشاء مركز للمخطوطات العربية والعجمية لجمهورية النيجرسنة 1962 م عني بجمع وحفظ المخطوطات في تلك البلاد ،وقد نال هذاالمركز دعما من بعض الجهات الاجنبية والوطنية .

أماأسلوب المركز في جمع المخطوطات فكان عن طريق الشراء والهبة والاعارة والتصوير، وقداستطاع أن يحدد أماكن تواجد 1500 مخطوط تفرقت في المكتبات الخصوصية النيجيرية كما تمكن المركز من جمع 3600 مخطوط تم الحصول عليها بفضل مجهود المسؤولين عن المركز والدعم الوطني والاجنبي، وقد تطرقت المخطوطات النيجيرية إلى المواضع التالية:

القرآن -الحديث -التاريخ -الادب -الفقه - اللغة -الطب ؛ كماتوجد من بين هذه المخطوطات مصاحف حبرت بأروع الخطوط (3)

جمهورية مالي :

لقد كانت مدينة تمبكتو أهم المراكز الثقافية في دول الساحل وفي جمهورية مالي خصوصا فقد كانت تمبكتو عاصمة ثقافية ودينية لملكة «السنغاي» وازدهرت الحياة الثقافية فيها من عهد أسكيا محمد الذي قام برحلة إلى الحجاز واصطحب معه من المشرق إلى بلاده المخطوطات وكان ذلك دأب الحجاج الماليين الذين يرجعون بالمخطوطات النفيسة إلى بلادهم وهم عائدون من أداء فريضة الحج .

ففي ظل مملكة «السنغاي» انتشرالعلم وكثرت المدارس والمعاهد وكرس العلماء حياتهم للتدريس والتاليف وأصبحت بموجب ذلك تمبكتو مركزا غنيا للمخطوطات النادرة وازدهرت فيها حركة التأليف في القرنين 12،13 هـ فقد كتب فيها في فن التاريخ كتابان مشهوران هما :

-تاريخ السودان لمؤلفه عبد الرحمن السعدي

-تاريخ الفتاش لابن المختار الوعكري

ومن أشهر علماء هذه المدينة رجال من عائلة اقيت التي ينتهي نسبها إلى قبيلة مسوفه من صنهاجة وقد تولى علماء اقيت القضاء في تمبكتو في القرن 11هـ وكان من أشهرهم :

-العلامة أحمد بابه بن أحمد بن أقيت التمبكتي المتوفى سنة 1046 هـ صاحب المصنفات الشهيرة التي تزيدعلى أربعين مؤلفا نذكر منها :

- نيل الابتهاج بالذيل على الديباج/ في تراجم أعلام المذهب المالكي .

-جلب النعمة ودفع النقمة

-تحفة الفضلاء ببعض فضائل العلماء

-معراج الصعود إلى نيل مجلوب السود .

والحاج عمربن سعيد الفوتي الذي كان زعيما سياسيا ومجاهدا وعالما من أبرز علماء وقته ألف حوالي 20 كتابا في التصوف والتوحيد والجهاد ،ومن مؤلفاته:

-رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم

-المقاصد السنية لكل موفق من الدعاة إلى الله من الراعي والرعية .

وإضافة إلى مخطوطات مركزأحمد بابه في تمبكتو توجد مخطوطات أخرى في أقاليم «گاو » و«سيغو» و«خاي » تقدر بحوالي 9000مخطوط وأهم مراكز حماية المخطوطات في مالي هو مركز أحمد بابه للتوثيق .

نشأة المركز :

لقد أصدرت حكومة مالي في 23 يناير عام 1970 مرسوما يقضي بإنشاءمركزأحمد بابه للتوثيق وصيانة وحفظ المخطوطات؛ والذي يهدف إلى البحث والتنقيب عن المخطوطات والوثائق العربية وذلك بمسح كامل لمنطقة حوض النيجر (4).

جمهورية السينغال :

لاشك أن وجود المخطوطات في السينغال قديم ويرجح أن يكون من تاريخ دخول الاسلام واللغة العربية للمنطقة لكن الاهتمام بجمع هذه المخطوطات يعود إلى فترة متأخرة مع إنشاء قسم الدراسات الاسلامية التابع للمعهد الاساسي لافريقياالسوداء(إيفان) ولاشك أن السينغال عرفت شخصيات علمية مهمة جمعت مخطوطات نادرة نذكر منهم على سبيل المثال :

-الشيخ موسى كمرالمتوفى سنة 1945م الذي خلف بعد وفاته مؤلفات في التاريخ مهمة نذكرمنها:

-كتاب زهورالبساتين في تاريخ السوادين

-المجموع النفيس سرا وعلانيه في ذكر ساداتناالبيضانية والسودانيه

-تبشير الخائف الحيران

كماظهرت شخصيات دينية كبيرة نشرواالاسلام في المنطقة وألفواالمؤلفات أمثال الشيخ ابراهيم انيس ووالده الحاج عبد الله والشيخ أحمدو بنب والحاج مالك سي وغيرهم .

انشاء قسم الدراسات الاسلامية في جامعة داكار

لقد تم إنشاء هذاالقسم في عام 1966م وكان هذاالقسم قدركز على جمع وحفظ المخطوطات في السينغال .

وقد جمع منها مخطوطات مهمة في خزانات خاصة لبعض الشخصيات العلمية نذكر منهم على سبيل المثال :

-خزانة الشيخ موسى كمر

-خزانة الدكتور عامر صمب

وقد نشر هذاالقسم فهرسا باللغة الفرنسية لمخطوطات القسم سنة 1966 (5)

الجزء الثاني : الجمهورية الاسلامية الموريتانية

موريتانيا (شنقيط قديما)أم المراكز الثقافية في إفريقياالسوداء ومنطلق الاشعاع العلمي والاسلامي إلى دول الساحل فقد كان العلماء الدعاة والرحالة والتجارالموريتانيون ينشرون الدين الاسلامي والثقافة العربية على أي حال وفي كل مكان حلّوابه في حال الرحيل والمقام يقول في ذلك شاعرهم المختاربن بون :

ونحن ركب من الاشراف منتظم
أجل ذاالعصر قدرا دون أدنانا
ننمى لحمير والاحوال شاهدة
أسلافناالغر من أبناء قحطانا
قد اتخذنا ظهور العيس مدرسة
فيها نبين دين الله تبيانا

فالوقت كله مكرس للعلم والدرس، وإذاكان السفرفي العادة بمايترتب عنه من مشقة وعناء فترة راحة للاستاذ والمتعلم فإن السفر عند العالم الموريتاني لايقطع الدرس ولايثني عن الكتابة والتأليف ، فظهور الجمال فصول دراسية مجهزة فالمحبرة والقلم معلقان في قربوس الرحل والورق مهيأ في ملف خاص يعرف بالكناش لايفارقه في حل ولافي ترحال تطبيقا لقول الناظم :

لابد للزاوي من كناش
يجمع فيه العلم وهوماش

فبهذا الجهد المضني والنهم الشديد على الدرس والتحصيل استطاع الشناقطة أن يطووامافاتهم من الزمن ويتقدموا الركب بذاكرة رطبة وعلم غزير يحملونه بين جوانحهم متمسكين بقول الامام الشافعي رضي الله عنه :

علمي معي حيث مايممت يتبعني
قلبي وعاء له لاجوف صندوق
إن كنت في البيت كان العلم يصحبني
أوكنت في السوق كان العلم في السوق

فالذاكرة القوية للموريتاني كانت من أسباب ضياع كثير من المخطوطات المهمة لأن العالِم في كثير من الاحيان لايحتاج إلى الرجوع للكتاب لأنه يحفظ المتون والشروح عن ظهر قلب ، ولايسمى عند الشناقطة عالما حقيقة يرجع الناس إليه في النوازل والتعلم إلا من استغنى عن الكتاب بما يحفظه من فيض علمه الغزير وذاكرته الجياشة لأن العلم عندهم ماوعاه الصدر فقط لا ماخزن في الصناديق وحوته دفتي الكتاب :

وليس علما ماحوى القمطر
ماالعلم إلا ماوعاه الصدر

وكانت الحياة البدوية بحلها وترحالها السبب الاول في كون العالِم لايعتمد إلا على ماحواه صدره لأنه يعلّم طلابه في ظلام الليل الدامس في الصحراء القاحلة وأثناء رحلة الشتاء والصيف يجوب الفيافي متتبعا مواطن المرعي والكلإ، فلايبقى معه عادة من الكتب إلا مؤلفاته الشخصية أوالكتب النادرة التي يستنسخها أماالمكتبات الكبرى فتبقى في الاخصاص المهجورة وعلى إثر القافلة عندما تعوزهاالراحلة أويطول السفر فتبقى مودعة للمقابر وعلى الطريق

فيسبب لهاذلك في كثير من الاحيان الضياع بسبب الامطار والطقس بين الرطوبة الشديدة والحرارة الجافة التي لاترحم المخطوطات ومابقي اليوم من المخطوطات في موريتانيارغم ماتعرضت له من أسباب التلف والضياع أكبر شاهد على ماخلف أجدادنا من مخطوطات تجمعت في مكتبات عريقة نشأ أكثرها وترعرع في البادية والحياة الصحراوية القاسية واستطاعت أن تنافس أكبر المراكزالثقافية الحديثة وماذلك إلابفضل جهود هؤلاء العلماء وشغفهم بالعلم والكتاب ، فقد جمعوا نوادر المخطوطات من الحجاز وبغداد والشام ومصر والمغرب وحفظوا مخطوطات أصلية نادرة لا توجد اليوم في غير المكتبات الموريتانية نذكر منها على سبيل المثال :

- كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي كُتب على رق الغزال في القرن الرابع الهجري

-كتاب الزاهر في الاقوال والامثال /لابن الانباري في القرن 4 هـ

-تصحيح الوجوه والنظائر من كتاب الله العزيز/لأبي هلال العسكري تم نسخه في قرطبة سنة 480 هـ وتوجد نسخته الاصلية في مكتبة أهل حبت بشنقيط .

-كتاب أدب الملوك والرعية تم نسخه سنة 717هـ

-عمل من طب لمن حب /أحمد بن محمد المقري تم نسخه سنة 894 هـ

- قواعد الفقه /محمد بن أحمد المقري نسخ سنة 894هـ

-جامع ابن يونس في الفقه المالكي نسخة عتيقة جميلة الخط

-كتاب الصغاني في الحديث

-بهرام أول شارح لمختصر خليل بن إسحق

-كتاب وصف الزرافة لمؤلفه عبد الرحمن بن علِي بن صالح المكودي

- كتاب بدء الملاحة وإنهاء الرجاحة في أصول الفلاحه

-جامع البيان والتحصيل لابن رشد .

والقائمة طويلة، فلاتخلوا مكتبة من نوادر هذه المخطوطات التي ألفت في مواضع نادرة مثل الطب والسياسة وعلم الفلاحة ووصف الزرافة والحساب والهندسة وأشكال المخطوطات التي زوقت وزخرفت بماء الذهب وأنواع الخطوط كالنسخي والثلث والرقعة والخط المغربي والسوداني والكوفي ؛ كلهامخطوطات نادرة شكلا ومضمونا ، ولاتزال هذه المخطوطات إلى اليوم ثروة هائلة تفرقت في مختلف القرى والارياف الموريتانية أكثرهاعلى شكل مكتبات خصوصية تحتوي مؤلفات موريتانية ومخطوطات غير موريتانية ألفت في مختلف الفنون مثل :

التفسير وعلوم القرآن والحديث الشريف والتوحيد والسيرة النبوية والفقه وأصوله والنحو والصرف واللغة والادب والعروض والمنطق والبيان والتصوف والتاريخ والطب والحساب والجغرافيا وعلوم السر والاوفاق إلخ

ولقد اهتم المؤلفون الموريتانيون بمواضيع خاصة بواقع بلادهم فاهتموا بالنوازل الفقهية التي تعتبر من أهم مصادر تاريخ البلد الاجتماعي والاقتصادي والسياسي وقلما يوجد عالم إلا وقد رويت عنه نوازل فقهية جمعها بنفسه أوجمعت نيابة عنه ،وقد ألفوا في الطب التقليدي وشخصواالامراض وعلاجها معتمدين في علاجهم على النباتات والاشجار المحلية، أماالناحية الادبية فالشعر قد أخذ الحيز الاكبر من هذاالجانب حتى أصبح الكُتَّابُ يسمون هذاالبلد ببلاد المليون شاعر،ولئن كان في هذامبالغة فإنما ينم عن كثرة الشعر والشعراء في هذاالبلد والنزر القليل الذي نشر عن مدونة الشعر الموريتاني

لاشك أنه يفيد القارئ ويسوقه إلى حد التصديق بهذه المقولة ،وأهم الكتب التي نشرت عن الشعر الموريتاني :

-كتاب الوسيط في تراجم وأدباءشنقيط قد طبع ونشر في مصرفي بداية القرن العشرين .

-كتاب الشعر والشعراءلمحمد المختار بن اباه

-شعراءموريتانيا ليوسف مقلد فقد نشرافي العقدين الماضيين ،أمامدونة الشعر في قسم المخطوطات فهي 430 ملف شعري خاصة بالشعراء الموريتانيين (6) .

وقد تم إعداد قائمة لثلاثمائة مكتبة بين المكتبات الوقفية والخصوصية أمكننا من خلالهاتقدير المخطوطات الموريتانية بحوالي أربعين ألف مخطوطة ؛ تمكنا من زيارة ميدانية لحوالي 200 مكتبة منها داخل التراب الموريتانية ، صورنا من بين نوادرها مجموعة من المخطوطات علي المكرفيلم ،وهذه قائمة لبعض أسمائهاوأماكنها(7)

-مكتبة أهل الطالب بيكرولاته
-مكتبة الداه بن أيده ولاته
-مكتبة محمد جدبن عثمان ولاته
-مكتبة الاوقاف تشيت
-مكتبة الامام عبد المومنتشيت
-مكتبة أهل فاضل الشريف تشيت
-مكتبة أهل حبتشنقيط
-مكتبة أهل حامني شنقيط
-مكتبة أهل فال شنقيط
-مكتبة أهل أحمد شريف شنقيط
-مكتبة أهل عبد الحميد شنقيط
-مكبة أهل محمد بن الحاج وادان
-مكتبة أهل الكتا بوادان
-مكتبة أهل داهي وادان
-مكتبة إزيد بيه بن الرابي النعمة
-مكتبة أهل مولاي اسماعيل النعمة
-مكتبة أهل صالح ولد الرشيد اللبيه /لعيون
-مكتبة سدات بن الشيخ المصطف لعيون
-مكتبة أهل الطالب محمد تجكجة
-مكتبة أهل محمد ناجم گرو
-مكتبة أهل بيهالزواز/تنبدغه
مكتبة أهل الشيخ القاضي بيرالبركه /ألاگ
-مكتبة أهل الشيخ أحمد أبي المعالي أگرج
-مكتبة هارون بن الشيخ سيدي بتلميت
-مكتبة أهل اباه النباغيه
مكتبة أهل بدي النباغية
-مكتبة أهل أحمدوفالعلب آدرس
-مكتبة أهل فتى برينه
-مكتبة ابراهيم سيانتيكان
-مكتبة أهل عبد الصمد معط مولانا
-مكتبة أهل أحمذي ميمون النجاح
-مكتبة گراي بن أحمديورءابير اتورس
-مكتبة محمد بن محمد سالم اگجوجت
-مكتبة أهل أحمد الخديم التيسير
-مكتبة محمد عبد الله بن العالم الشارات
-مكتبة محمد بن أغربط لنبيديع
-مكتبة أحمد سالم بن سيد محمد انيفرار
-مكتبة الشفيع بن المحبوب العارف
-مكتبة أهل محمد اليدالي السبيخات
-مكتبة أهل آلماتندكسم
-مكتبة الشيخ هارون محمد بكه
-مكتبة بوناعمرلي صرندوگ
-مكتبة أحمد بن حك تامشكط
-مكتبة محمد شيخنا بن محمد الامينالغايره
-مكتبة المصطفى بن عبدي الطينطان
-مكتبة هارون سيسيلبابي
-مكتبة أهل الشيخ التراداگوينيت
-مكتبة انجاي كنكيهيدي
-المكتبة الخليلية أطار

ولاتزال هذه المكتبات تحتضن عشرات الآلاف من المخطوطات النفيسة وأكثرها يتردى في ظروف حفظ سيئة ولم تتجاوز العناية بها حدود الجمع والفهرسة .

وبعد سنوات الجفاف التي غيرت ظروف الحياة في البلاد تنبهت الدولة

الموريتانية لضرورة أخذ مسؤولياتها تجاه التراث الوطني ، فأنشئ بموجب ذلك المعهد الموريتاني للبحث العلمي سنة 1974 م من أجل حفظ وصيانة ونشر التراث الوطني وقد أنشئ ضمن أقسام هذاالمعهد قسم خاص بالمخطوطات سنة 1975 م التي كانت الانطلاقة الاولى في سبيل البحث عن هذه المخطوطات وجمعها وحفظها وفهرستها .

أولاجمع المخطوطات :

لقد انتهج القسم طريقتين لجمع المخطوطات مباشرة وغير مباشرة

أما غير المباشرة فهي تتعلق بالبحث والتنقيب عن أماكن تواجد المخطوطات وربط الصلات مع ملاكها والبحث معهم عن طرق إمكانية الحصول

على مخطوطاتهم والتعاون في مجال حفظها وصيانتها وبطبيعة الحال فقد اختلف ملاك المكتبات بين أصحاب الرفض التام الذين يمتنعون عن إعطاء أي معلومات عن مكتباتهم وبين من هم دون ذلك في الاستجابة .

الطرق المباشرة :

- شراء المخطوطات مباشرة من عند ملاكها أومن ينوب عنهم بأثمان محددة باتفاق الطرفين .

-تعويض كتب مطبوعة بدل الكتب المخطوطة

- إهداؤها للدولة

-استنساخ بعض المخطوطات المهمة

-أخذها عارية لغرض التصوير

-تصوير نسخة من المخطوط لمالكه مقابل النسخة الاصلية

وبهذه الوسائل تمكنا من جمع مايزيد على ستة آلاف مخطوطة (6000) أصلية في مكتبة قسم الخطوطات بانواكشوط وفتح مراكز في المدن القديمة لجمع المخطوطات في مركزواحد في كل من المدن التالية :

شنقيط - لاته -تشيت -بتلميت - تجگجه .

ثانيا الحفظ والصيانة :

لاشك أن الهدف الاساسي لجمع هذه المخطوطات من مكتبات شتى هو حفظها وصيانتها لأن ظروف الحفظ التقليدية لاتتجاوز جمع المخطوطات في صناديق وجعلها في أغلفة جلدية كثيرا ماتعرضها للارضة والحشرات، وتقنيات الحفظ والصيانة الحديثة باهظة ومكلفة تحتاج إلى رصد مبالغ مالية لتوفير أجهزة الترميم والتجليد وأجهزة التصوير والافلام المصغرة وتعديل المناخ بواسطة التكييف الهوائي الذي يمنع تواجد الحشرات والطفيليات الضارة بالورق والحبروالجلود أماظروف حفظ مكتبتنافمازالت ناقصة نتيجة قلة الامكانيات ففي مجال الصيانة تم ترميم 260 مخطوطا فقط بالتعاون مع إسبانيا وتجري دراسة مخبر للترميم في البلاد ،ويهدف أسلوب الحفظ بواسطة الافلام المصغرة

(المكرفيلم والمكرفيش) إلى توفير نظام حماية مناسبة للمخطوطات والوثائق المخزنة والحد من عمليات الضياع والسرقة وإمكانية الاحتفاظ بنسخ إلى مدة أطول وسهولة استغلالها للباحثين بأسلوب لايضر المخطوط الاصلي، وقد تمكنا من تصوير 2500 مخطوط على المكرفيلم ؛600 منها من مكتبة قسم المخطوطات والباقي من المكتبات الخصوصية في داخل البلا د وقد صورمن مكتبة قسم المخطوطات أيضا 250 مخطوطا على المكرفيش .

أماالتكييف الهوائي لقاعة المخطوطات فمازال غائبا ،لم نتمكن من الحصول عليه

وهو من أهم وسائل الصيانة والحفظ .

ثالثاالفهارس :

لقد ساعد على جهل المخطوط الموريتاني غيابه من الفهارس العربية وانعدام الفهارس المحلية إلى وقت قريب ، أضف إلى ذلك أن الفهارس التي تم إنجازها لم تنشر بعد باستثناء بعض الفهارس التي نشرت في بعض المجلات الوطنية والاجنبية ونذكر من الفهارس التي أشرف قسم المخطوطات على إنجازها :

- الجزء الاول من فهرست مكتبةقسم المخطوطات ا لذ ي يشمل ثلاثةآ لاف وستمائة مخطوطة (3600)

- فهرست مكتبة المكرفيلم وقد أنجز باللغتين العربية والالمانية

-فهرست مكتبات شنقيط ووادان

-فهرست مكتبات ولاته والنعمة

-طبع ونشر 100 عنوان من مجمل فهرست مكتبة المكرفيلم باللغة العربية نشرسنة 1988 في بيروت .

- وقد نشر في العددالاول والثاني من مجلة الوسيط لسنة 77 / 1988 بعنوان المخطوطات التاريخية وفي مكتبتي المخطوطات والمكرفيلم .

العـــوامل المهـــددة لهـــذه المخطوطات:

-الطقس :إن تقلب الطقس من جاف حارإلى رطب جدا يسبب سرعة تلف المخطوطات ؛ فضلا أن مياه الامطار والرياح تعرض المخطوطات للبلل والتخرق .

-اللامبالاة وعدم الوعي :

إن كثيرا ممن يمتلكون المخطوطات لايعرفون قيمتها ويكون ذلك سببا في ضياعها إماعن طريق إهمالها أوعن طريق تسلل الايادي غيرالامينة إليها

- تردي الاحوال المادية :لقد أدى الفقر وضيق الاحوال المادية الناتج عن الجفاف الذي ساد منطقة الساحل من عام 1972 - 1973 إلى إهمال كثير من الاسر مخطوطاتهم علي الطرقات وبين المقابر عجزوا عن حملها وبقيت فريسة الهوام والحشرات .

-سوء الحفظ التقليدي لهذه المخطوطات : تحفظ المخطوطات غالبا في صناديق من الخشب وفي أوعية من الجلود الامر الذي يجعلهاعرضة للارضة والحشرات المفترسة .

الجزء الثالث :
مكتبات مدينة شنقيط التاريخية

لقد اشتهرت مدينة شنقيط بكثرة العلماء والمساجد حتى سمي بهاالقطر الموريتاني كله فصار من باب تسمية الكل باسم بعضه ؛ فقد انتشر العلم في هذه المدينة وكثرت المساجد يقول العلامة سيدي عبد الله بن الحاج ابراهيم « ... نشأت شنقيط على الفطرة الاسلامية فازدهرت بها معظم العلوم التي كانت معروفة في تلك الفترة وخاصة علوم اللغة والشريعة والقرآن الكريم والعقيدة والسيرة النبوية ،ومن بين من اشتهر بإتقان هذه العلوم عبد الله بن الحاج حماه الله والطالب محمد بن بلعمش وسيد محمد بن حبت كماازدهرت بالمدينة حلقات الذكر وتفسير الحديث الشريف في المساجد التي بلغ عدد ها 11 مسجدا» (8) أقدمهاالمسجد الحالي الذي بني سنة 660 هـ والذي تشكل منارته اليوم رمزا باقيا لهذاالوطن ووجها مضيئا من وجوهه

فكثرة المساجد إلى هذه الدرجة تدل على الازدهارالعلمي الكبير الذي وصلت إليه هذه المدينة .

وقد برز من شنقيط كثير من العلماء نشرواالثقافة الاسلامية في منطقة الگبلة أمثال القاضي العلوي وأبنائه وعلماء ذاع

صيتهم في المشرق والمغرب العربي من بينهم أحمد بن الامين مؤلف كتاب الوسيط في تراجم أدباءشنقيط

وسيدي عبد الله بن محم بن القاضي اشتهربابن رازگه

ومن أشهرهؤلاءالعلماء البارزين في شنقيط الذين تركوا آثارهم باقية في مؤلفاتهم ومكتباتهم التي مازال الخلف يحفظها عن السلف أمثال الطالب محمد بن بلعمش الذي يعتبر من أوائل المؤلفين الموريتانيين في شتى الفنون والمعارف وسيدي محمد بن حبت الذي اشتهر بشغفه بالكتب وحرصه على جمعهاوتحصيلها ومازالت مكتبته في شنقيط إلى اليوم قائمة ،وأحمد بن البشير مؤلف كتاب مفيد العباد سواء العاكف فيه والباد في الفقه المالكي وغيرهم ممن لايتسع الحديث لذكره .

أمامكتبات شنقيط فقد كانت قديما بعدد الدور والخيام لكن عوامل الجفاف وهجرة السكان إلى المدن وموت العلماء كانت من أسباب ضياع كثير من هذه المخطوطات كماتعرضت بعض مكتبات شنقيط في مطلع القرن العشرين إلى حملات المستعمر الذي أخذ منها بعض الوثائق المهمة .

والمكتبات في شنقيط قبل عقد ونصف من الزمن لم تعد مثلهااليوم ففي الثمانينيات كانت المكتبات في شنقيط تقارب العشرين مكتبة اشتغلت شخصيا في 15 مكتبة منها وصورت منهامخطوطات نادرة ؛وكثيرمنهااليوم أصبح بين الضياع والاختفاء

أماقائمة المكتبات التي عاينتها واطلعت على أهم مقتنياتها في الثمانينيات فهي على النحو التالي :

- مكتبة أهل حبت
- مكتبة أهل فال
- مكتبة أهل عبد الحميد
- مكتبة أحمد بن أحمد محمود
- مكتبة أهل محمد بن لداع
- مكتبة أهل الخرشي
- مكتبة أهل حمادي
- مكتبة زاوية الشيخ حماه الله
- مكتبة محمد عبد الرحيم بن الطلبة
- مكتبة أهل حامن
- مكتبة أهل السبتي
- مكتبة أهل الديدي
- مكتبة أهل أحمد شريف
- مكتبة أهل بدي
- مكتبة الحاج بن أحمد بن محمد البشير (9)

ولم يبق في شنقيط من هذه المكتبات اليوم سوى ست مكتبات في ظروف صعبة للغاية لاتتوفر على أي وسائل للحفظ والصيانة ؛ وقد أتيحت لناالفرصة لفهرستها فهرسة كاملة سنة 1994 م وهذه المكتبات هي :

1 -مكتبة أهل حبت وهي المكتبة الوحيدة التي تحظى برعاية وشبه تنظيم لاباس به وهي أكبر المكتبات في شنقيط

2 -مكتبة أهل أحمد شريف مكتبة غنية وفي ظروف حفظ غير ملائمة

3 -مكتبة أهل حامن وتضم وثائق تاريخية مهمة

4 -مكتبة أهل عبد الحميد وتحتوي على مؤلفات موريتانية ووثائق تاريخية مهمة وفي غاية الضياع

5 - مكتبة أهل لداع غير منظمة

6 -مكتبة أهل السبتي

وقدامتازت مخطوطات شنقيط بكثرة الخطوط المشرقية لأنها جمعت من القاهرة والحجاز وفلسطين وغيرها من الحواضر الاسلامية وقد تزودت هذه المكتبات بنوادر المخطوطات الاصلية مثل كتاب :

- تصحيح الوجوه والنظائر من كتاب الله العزيز لأبي هلال العسكري

- رسالة في شرح علة ترتيب اقليد س أشكال كتابه في الهندسة لمؤلفه ثابت بن

قرة ت 288 هـ

ورسائل في شرح كتاب اقليدس لابي جعفر محمد بن الحسن البغدادي المتوفى سنة 310 هـ (10)

كماتوجد فيها مخطوطات أبدع فيها الخطاطون وتفننوافي تزويقها وتطريزها.

وختاما فإنه لايسعني إلا أن أذكر بأهمية هذاالتراث الافريقي المخطوط الذي مايزال يعاني من الاهمال والتردي في ظروف حفظ سيئة تودي كل يوم بنفائسه

ولهذه المخطوطات أهمية قصوى باعتبارها ثروة حضارية عريقة استطاع أهل هذاالجزءالمهم من العالم العربي والاسلامي أن يحفظوه رغم قساوة هذه الصحراءالبعيدة عن المنابع الاصلية وبالتالي باعتبارها هوية حضارية متميزة بأسلوبها البدوي الاصيل الذي يعتمد على وسائل الحفظ التقليدية

-ولأن هذه المخطوطات تعتبر المصدر الاساسي للكشف عن تاريخ وتقاليد سكان هذه المنطقة

- ولاشتمال هذه المخطوطات من جهة أخرى على مؤلفات مهمة لاتوجد في غيرها من المواطن وقد فقدت أصولها من بلادها

-وكون هذه المخطوطات في هذه المنطقة مازالت مجهولة لم تفهرس ولم يطبع منها إلاالنزر القليل.

لذلك فإن هذه المخطوطات في مجملها مرتع خصب للباحثين الذين يفتشون عن الجديد وهي في نفس الوقت عرضة للسرقات الفكرية التي تعرض لهاكثير من مخطوطات هذه المنطقة والتي لايتسع الوقت لذكر تفاصيلها، وماذلك إلابسبب غياب الفهارس والتصوير والطباعة والنشرفي هذه المكتبات

لذا ينبغي التفكير في خطة عاجلة لإنقاذ هذه المخطوطات من الضياع ويمكن أن تكون هذه الندوة فرصة للتدارس والنظرفي حيثيات هذاالامر ومتطلباته. فالوسائل المادية المتاحة لمراكز المخطوطات وأقسامها في هذه المنطقة ضئيلة

لاتسمح بوضع تصور لإنقاذ سريع كماأن وسائل الدول كذلك عاجزة عن توفير الاجهزة وتقنيات الحفظ والصيانة الحديثة التي تحتاج إلى تكاليف مادية باهظة

ولكن دعوة الرأي العام بمؤسساته الاممية والاقليمية والوطنية ورجال الاعمال والباحثين في جميع العالم هي وحدهاالكفيلة بإنقاذ هذه المخطوطات ؛فكل من موقعه يستطيع أن يقدم في هذا المجهود من التوجيهات والدعم مايجعل المراكز والاقسام في الدول المعنية تتحرك من أجل إنقاذ سريع لهذه المخطوطات النادرة والنفيسة.

«ومن أحياها فكأنماأحيي الناس جميعا» صدق الله العظيم

ونسأل الله تعالى أن يوفقنا ويسدد خطانا إنه سميع مجيب.

هوامش البحث :

1 -دول الساحل : موريتانيا والسينغال ومالي والنيجر وبركنافاصو وجزر الرأس الاخضر

2 -اللغة العربية ومظاهرها في غرب إفريقيا /بحث للاستاذ «جون هنويك» أستاذ بالجامعة الامريكية بالقاهرة ،ألقاه بمناسبة اجتماع الخبراءلدراسة أوضاع المخطوطات العربية في غرب إفريقياالمنعقد في انواكشوط سنة 1977.

3 -تاريخ وجود المخطوطات في النيجر -بحث قدمه جبريل ابكر على مدير مركزالمخطوطات العربية والعجمية في جمهورية النيجرفي ندوة مسؤولي المخطوطات الاسلامية المنعقد في الرباط

سنة 1993 .

4- وضع المخطوطات العربية في جمهورية مالي/ بحث للدكتورمحمود الزبير قدمه بمناسبة اجتماع الخبراءلدراسة شؤون المخطوطات في غرب إفريقيا 1977

5 -دراسة عن المخطوطات العربية الاسلامية في السينغال /بحث للدكتور/سارنوكاه الحبيب

رئيس قسم الدراسات الاسلامية (ايفان) قدمه في ملتقى مسؤولي مراكز المخطوطات الاسلامية (اسسكو)في الرباط سنة 1993 .

6 -راجع مكتبة قسم المخطوطات في دارالثقافة بانواكشوط

7 -فهرست مكتبة المكرفيلم -نسخة مرقونة بقسم المخطوطات

8 -صحيحة النقل في علوية إدوعلي وبكرية محمد قلي -مخطوط

9 -المسيرة الثقافية في المدن التاريخية -أحمد بن محمد يحي مقال منشور في مجلة الشعاع المعهد العالي للدراسات والبحوث الاسلامية سنة 1987

10 -راجع مكتبة أهل حبت في مدينة شنقيط .

انتهت النصوص العربية للندوة

المعلوماتية من النشأة إلى النضج

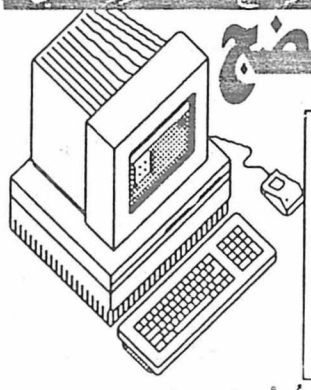

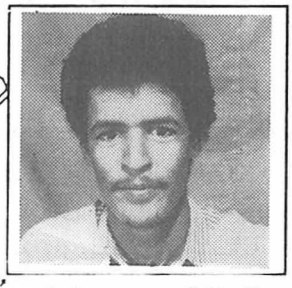

من إعداد عبد الرحمن بوجمعه
متخصص في المعلوماتية

الحلقة 2

الحاسبات الميكانيكية

Les machines à calculer mécaniques

كما ذكرنا سابقا- كان الشغل الشاغل لإنسان العصور القديمة في مجال الحساب، هو ايجاد نظام لتمثيل الأعداد، بعد أن كان التحول من الآحاد إلى العشرات ومن العشرات إلى المئات... يتم يدويا كما رأينا في الحلقة الماضية (طريقة الآزتك والطريقة الصينية والطريقة الروسية.)

وفي القرن السابع عشر (17) كان النظام العشري والحساب -المعروفان حاليا- قد سبق أن حظيا بدراسة عميقة منذ عصر الخوارزمي الملقب بـ«أبي الجبر».

لكن المشكل الذي وقف في وجه إنشاء الحاسبة الميكانيكية هو إمكانية السيطرة بطريقة ميكانيكية على «الْحَمْل» (Le Retenu) في العمليات الحسابية أي (التحول من الآحاد إلى العشرات ومن العشرات إلى المئات....).

وكان أول من حل هذه المشكلة باستعمال النظام العشري هو الرياضي ابليز باسكال (1632 - 1662)، الذي نجح في إنشاء واختراع أول حاسبة ميكانيكية.

1) حاسبة باسكال الميكانيكية

Machine à calculer de Pascal

تتكون هذه الحاسبة من حلقات دائرية مسننة بالتفاوت...

ومن مميزات هذه الحلقات أن:

- الحلقة«ب»، تحمل الاعداد العشرية: 0، 1، 2، 3، 4، 5، 6، 7، 8، 9، بحيث يبعد كل واحد منها عن الآخر بنفس المسافة. وتحوي هذه الحلقة 20 سنا.
- الحلقة«أ»، مطابقة للحلقة«ب»، إلا أنها لا تحوي إلا اثنتين (سنين).
- إذا دارت الحلقة«أ» دورة كاملة، تتحرك الحلقة«ب»، بمقدار عُشْر (10/1) من دورتها، وهو ما يساوي المسافة بين عددين عشريين متتاليين.
- الحلقة«ب»، مكسوة بغطاء له فتحة واحدة لا يظهر من خلالها إلا عدد واحد.
- بعد دورة كاملة للحلقة«أ»، يزيد العدد المرئي في الحلقة«ب»، بـ 1.

مثال: إذا كان العدد المرئي في الحلقة«ب» هو 5 فإنه بعد دورة كاملة للحلقة«أ» يصبح العدد المرئي 6.

- إن هذا التجمع من الحلقات، يمكن أن يمدد إلى ما شئنا من الحلقات، وذلك بزيادة حلقة«جـ» مطابقة للحلقة«أ» خلف الحلقة«ب»، والحلقة«جـ» يمكن أن تحرك حلقة أخرى هي: «د»، مطابقة للحلقة«ب»، وهكذا...
- ماكنة باسكال لا تستطيع أن تقوم إلا بعمليات الجمع.

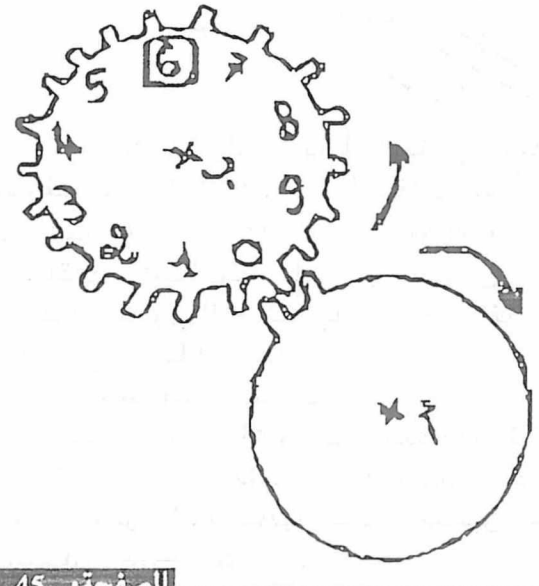

2) حاسبة ليبنيز الميكانيكية

Machine de Leibniz

الخطوة الهامة بعد باسكال كانت من طرف ليبنيز (1646 – 1716). حيث استطاع هذا المخترع أن ينجح في تطوير ماكنة باسكال حتى تشمل عملية ضرب عددين...

وماكنة ليبنيز تتكون من جزئين: الأول لإنشاء عمليات الجمع والثاني لإنشاء عمليات الضرب.

الجزء الخاص بالجمع مركب بنفس طريقة باسكال.

ماكنة ليبنيز تحوي ثلاثة أنواع من الحلقات الدائرية:

* حلقات للجمع
* حلقات للمضروب فيه
* حلقات للضوارب

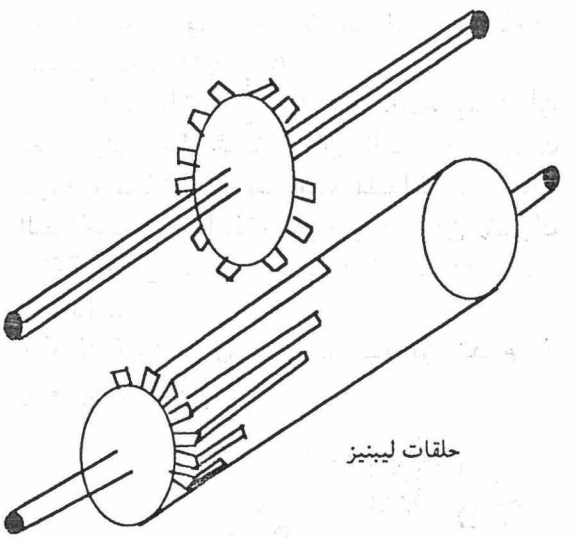

حلقات ليبنيز

وللقيام بأي عملية أنشأ ليبنيز نظاما يعرف في أيامنا هذه بـ «الحلقات السلّمية لليبنيز» «Roues en escalier de Leibniz».

والحلقات السلمية لليبنيز تتكون من اسطوانة تحوي 9 أسنان بأطوال مختلفة.

- الأولى طولها 9 وحدات
- الثانية طولها 8 وحدات
- وأصغرهذه الأسنان طولها وحدة واحدة.

كما توجد حلقة صغيرة مركبة على محور مواز يمكن استعمالها بعدد متغير من الأسنان (حسب وضعيتها).

وهذه الحلقة يمكن تحريكها على محور بمحرك يدوي.

وقد نجح اختراع ليبنيز نجاحا كبيرا..

3) الخطوات الأولى في الحساب الآلي

Les premiers pas dans le calcul automatique

كانت ماكنتا باسكال و ليبنيز بحاجة دائمة إلى حذر ومتابعة المستعمل، كما تتطلبان كثيرا من الجهد في حالة الحاجة إلى سلسلة من العمليات.

وهذا الجهد يتمثل في:

أ) تدوير المدور

ب) تحريك المحركات اليدوية

جـ) كتابة النتائج الأولية على الورق..

د) وغيرها من الأعمال اليدوية..

ومن المؤكد أن هذه الطريقة كانت تحد من سرعة الحساب الضرورية في أكثر الحالات.

وأمام هذه الإشكالية طرح التساؤل:

هل من الممكن اختراع حاسبة لا تحتاج إلى أي تدخل بشري لإنشاء سلسلة من العمليات الحسابية؟

لقد كان أول من أهتم وعمل بصورة فعلية للإجابة على هذا التساؤل هو شارك باباج (1791 – 1871) Charles Babbage. الذي كان يشغل منصب استاذ للرياضيات في كامبريدج من 1823 حتى 1839 دون أن يلقي أي درس في هذه الفترة... حيث كان مشغولا بمشكلة الحاسبات. وفي سنة 1812 استطاع باباج انطلاقا من نتيجتين رياضيتين مهمتين أن يكوّن فكرة اختراع حاسبة يسميها «حاسبة بالفرق» Machine à différence.

النتيجتان الريضايتان اللتان انطلق منهما باباج هما:

الأولى: «كل دالة مستمرة يمكن تمثيلها تقريبا بدالة صحيحة».

<<Toute fonction continue peut être représentée approximativement par un polynôme>>

الثانية: «إن الفرق برتبة ن لدالة صحيحة من الدرجة ن ثابت دائما »
<< La Nième différence d'un polynome de degré N est toujours constante>>
ولتوضيح فكرة باباج لنعتبر المثال التالي:
لتكن الدالة:

$$Y = 4X^2 + 3X + 1$$

* يمكن تعريف الفرق الأول لدالة صحيحة بـ:

$$\Delta^1 = p(X_i) - p(X_{i+1})$$

ويعرف الفرق الثاني بـ:

$$\Delta^2 = \Delta^1_{i\ ,\ i+1} - \Delta^1_{i+1\ ,\ i+2}$$

X	Y	الفرق الأول Δ^1 1ère Différence	الفرق الثاني Δ^2 2ème Différence
0	1		
1	8	7	
2	23	15	8
3	46	23	8
4	77	31	8
5	116	39	8

إن حاسبة باباج تتكون من مجموعة من السجلات (Registres) المتصلة فيما بينها. ويمكن إضافة محتوى أحد السجلات إلى محتوى سجل آخر، تبعا لمراحل محددة.
وفي المثال الذي أخذنا، لا نحتاج إلا إلى ثلاث سجلات فقط (ولنعتبر R1 , R2 , R3). هذه السجلات الثلات تحوي بالترتيب قيمة Y في (R1)، وقيمة الفرق الأول في (R2)، وقيمة الفرق الثاني في (R3). ومرحلة عملية حساب قيمة الدالة Y تتم بعمليتي جمع:
1) نضيف العدد الموجود في السجل 3 (R3) إلى العدد الموجود في السجل 2 (R2) ثم نجعل النتيجة في السجل 2 (R2).
2) نضيف العدد الجديد الموجود في السجل R2 إلى العدد الموجود في السجل R1 ثم نجعل النتيجة في السجل R1.
وهكذا اخترع هذا الرياضي البارع ماكنة صغيرة بثلاث سجلات تستطيع حساب قيم الدوال الصحيحة الرباعية الحدود.

السجلات Les Registres			
	R1	R2	R3
القيمة الأصلية Valeur initiale	1	7	8
المرحلة الأولى 1er Cycle	8	15	8
المرحلة الثانية 2ème Cycle	23	23	8
المرحلة الثالثة 3ème Cycle	46	31	8
المرحلة الرابعة 4ème Cycle	77	39	8

بعد ذلك بسنوات، استطاع المهندس السويدي جورج شتز -المعجب بأفكار باباج المنشورة والمدونة- أن يجرب أفكار هذا الرياضي اللامع. ونجح في إنشاء ماكنة قادرة على جدولة الدوال الصحيحة من الدرجة 4.
واصل المخترعون بعد ذلك تطوير العديد من الحاسبات بالفرق، أشهر هذه الحاسبات: «حاسبة العد الوطنية» (National Acounting Machine) التي تحوي ست سجلات بسعة 12 رقما وآلة للطباعة، ونظاما لإعادة

السجلات إلى الصفر.
وفي سنة 1832 تخلى باباج نهائيا عن فكرة الحاسبة بالفرق، بعد أن وصل به تخيّله إلى مشروع أكثر طموحا، وهو إنشاء حاسبة جديدة سماها «الحاسبة التحليلية». هذه الحاسبة لم تر النور. فقد توفي باباج قبل أن يصل إلى نهاية مشروعه الطموح، لكنه خلّف رصيدا من الأفكار المفيدة في هذا المجال.
لقد جسّد باباج «حاسبته التحليلية» تجسيدا آليا ومثاليا، حيث كان بإمكانها تنفيذ جميع أنواع الحساب. ولا نعني بالحساب هنا، الحساب العددي فقط إنما نعني جميع أنواعه العددية والرمزية. لقد كانت حاسبة باباج التحليلية هي أقرب ما يمكن إلي الحاسبات الآلية التي تتكون من:

1) ذاكرة Une mémoire:
لتخزين المعطيات والنتائج

2) وحدة حسابية Une unité Arithmétique:
عنصر من الحاسبة يمكنه تنفيذ جميع العمليات الحسابية.

3) وحدة رقابة Une unité de contrôle:
تختار تنفيذ هذه العملية أو تلك من العمليات الموجودة في الذاكرة.

4) عنصر إدخال Elément d'entrées:
وهو العنصر الذي يمكن عن طريقه إدخال المعطيات في الحاسبة.

5) عنصر خروج Elément de Sortie:
وهو الذي يمكن من تخريج النتائج.

بعد عشرين سنة من وفاة باباج استطاع الإحصائي الأمريكي هرمان هولريث اختراع حاسبة ألكترونيكية، في فترة كان القانون الأمريكي يفرض القيام بإحصاء شامل للسكان في كل عشر سنوات.. واستطاع هذا الإحصائي أن ينجح في اختراع هذه الحاسبة للمساهمة في معالجة وتحليل هذا الكم الهائل من المعطيات الإحصائية..

4) أول حاسب آلي
Le premier calculateur automatique

يتواصل في الحلقة القادمة
إن شاء الله

علماء البلاد الشنقيطية ورحلة الحج في القرون الماضية

سيدي أحمد بن أحمد سالم
أستاذ بالمدرسة العليا للأساتذة

إن دورَ علماء البلاد داخليا وخارجيا دورٌ لا يمكن إنكاره علميا وتاريخيا، ونحن اليوم مطالبُون بدراسة هذا الدور فهْمًا وتحليلا لا لمجرد الوقوف على أطلال درست ودمَن خلت بل لتمَثُّل ذلك الدور وإحيائه وتوضيحه وانتقائه حتى يظل الماضي مغذيا للحاضر في سبيل بناء المستقبل.

على أن دورَ العلماء الشناقطة قديما يمكن أن ينظر إليه من عدة زوايا: فيمكن أن نكتب عنهم تعريفًا وترجمةً أو ندرس مؤلفاتهم تحقيقا وتعليقا وهو اهتمام بدأت مؤسساتنا العليا في إنجازه منذ ما يقارب عقد ونيف من الزمن.

كما يمكن أن ندرس دور هؤلاء العلماء من خلال التعريف بالمؤسسة التربوية العتيدة التي أسسوها وطوروها خلال القرون التسعة الماضية ألا وهي المحظرة وقد قام بعض الباحثين الوطنيين، في مجال دراسة "ظاهرة المحاظر"، بمساهمات طيبة تذكر فتشكر(1). وفي ملتي واعتقادي أن التراجمَ المستفيضة لهؤلاء الأعلام ودراسة مؤلفاتهم، وكذلك الوقوف علي ظاهرة المحاظر وتحليلها، أمورٌ جوهرية وضرورية، إلا أنه لا بد من إكمالها بدراسة دور هؤلاء العلماء وخاصة دورهم من خلال رحلات الحج التي قام بها بعضهم وكان لها تأثير معرفي وتاريخي خارج البلاد وداخلها.

فلنتساءلْ في بداية هذا العرض: متي بدأت رحلة العلماء الشناقطة إلي الحج؟ وكيف كانت وما هي نتائجها؟ وكيف يمكن توظيف تلك النتائج في سياق حاضرنا لربطه بالماضي المجيد من أجل استشراف مستقبل مزدهر مبني على أسس سليمة؟

وللإجابة على هذه التساؤلات سنحاول في ما يلي أن نقدم هذا العرض متبعين المنهجية التالية:

1 - أصول الرحلة العلمية الشنقيطية إلى الحج

2 - الرحلة الشنقيطية: الأهداف والظروف والوسائل

3 - العلماء الشناقطة وتدوين رحلات الحج

4 - دور حجاج العلماء الشناقطة :

ا - العلماء الشناقطة وترسيخ نشر العلم

- الإجازات والتأليف
- الإفتاء والتدريس

ب - العلماء الشناقطة وترسيخ مفهوم الوطن

5-خاتمة

1 - أصول الرحلة العلمية الشنقيطية إلى الحج:

تعود أول رحلة إلى الحج انطلقت من هذه البلاد، وكان لها دور علمي وتاريخي، إلى بداية عهد المرابطين، فقد تولى يحيي بن إبراهيم الگدالي الإمارة بعد وفاة عبد

الله بن تيفاوت(2)، ويشهد المؤرخون ليحيى هذا بحب الخير وتبجيل العلماء والسعي إلى نشر العلم، وقد قادته همته العلية إلى التوجه إلى الحج والزيارة سنة 427هـ، وعندما قضى نسكه قفل راجعا فمر بالقيروان والتقى كما هو مشهور بالعالم المالكي أبي عمران الفاسي وحاوره، فتأثر الأميرُ بالعالمِ الواعظ وأعجب العالمُ بالأمير الخَيِّر، وبعد محاورة طلب الأمير من أبي عمران أن يرسل معه معلما يدرس الناسَ، فكان أن وجهه إلى أحد تلامذته في السوس الأقصى وهو وجاج بن زلو الذي انتدب معه الفقيه عبد الله بن ياسين مؤسس الرباط وواضع نواة دولة المرابطين.

فكانت هذه الرحلة المباركة بداية الرحلات الحجية الشنقيطية، وكان من نتائجها المباشرة قيام دولة المرابطين على تقوى الله ومنهاج الحق حيث رُفِعَت راية الإسلام عالية وتم الجهاد في سَبيل الله بفضل الداعية المجاهد عبد الله بن ياسين(3).

وإذا كانت الرحلة الأولى قد تمت في نهاية العقد الثالث من القرن الهجري الخامس فما ذا وقع من رحلات العلماء في القرون التسعة الموالية؟

2 - الرحلة الشنقيطية: الأهداف والظروف والوسائل

إن الهدف الأساسي لجميع الرحلات الشنقيطية المتجهة إلى المشرق هو حج بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام، ومن الملاحظ عموما حرص الشناقطة على تأدية هذه الفريضة مهما كانت الظروف غير مواتية؛ فلم تمنعهم الفوضى السياسية وما تعرفه بلادهم من "سيبة" كما لم تحل الأمراض الكثيرة المنتشرة دون سعيهم إلى بلوغ أهدافهم، ثم إن المفاوزَ المخيفة وقطاع الطرق المتكالبين وقطع 7.000 كلم على وسائل نقل لم تكن بالشكل المرضي دائما كلها أمور لم تفُتَّ في عضدهم ولم تثن من عزيمتهم، وقد قال أحدهم وهو البشير بن امبارگي الشمشوي في رحلته متحدثا عن كثرة ما استعمل من وسائل النقل في حجه:

كأنَّمَا قيلَ لنَا في الطرُقِ
لَتَرْكَبُنَّ طبَقاً عن طَبَقِ

فحالهم يردد قول محمدو بن محمدي العلوي:

سرِ مدمِنا عبرَ أمواَج الهجير
وسِرْتحتَ الدجَى ثالثَ البيداءِ والإبلِ

ويذكر العلامة سيدي عبد لله بن الحاج إبراهيم العلوي (ت: 1233هـ) في رسالته صحيحة النقل حول تعلق الشناقطة بهذه الشعيرة ما نصه: «وكان الركب يمشي من شنجيطَ إلى مكةَ كل عام ويحج معهم من أراد الحج من سائر الآفاق، حتى ان أهل هذه البلاد أعني من الساقية الحمراء إلى السودان إلي أروان يعرفون عند أهل المشرق بالشناجطة»(4).

ويوضح ابن الحاج إبراهيم اعتناء بعض الشناقطة بموكب الحج والسهر على مصالحه من ذلك مثلا: أنه: «قد تحج الدار كلها لا يبقى فيها أحد من شدة اعتنائهم بالحج يحجون من قدروا على إحجاجه، وقد بلغنا أن الحاج محمد أحمد والد أبي الكساء -هو بُوكْس- أنفق على أربعين نفسا من غير عياله وحملها لله تعالى»(5).

وفي سياق آخر يذكر البرتلي في فتح الشكور علمين شنقيطيين من أعيان القرن الهجري الثاني عشر كانا يسهران

على تسفير الركب الشنقيطي وهما أحمد بن الحاج الأمين الغلاوي التواتي وبونعامه الكنتي(6).

ويبدو أن الركب الشنقيطي كان يلتحق بالركب المغربي لينطلق الجميع من فاس يوم 28 جمادى الثانية من كل سنة(7).

ولكن ما ذا عن هذه الرحلات؟ وهل كتب الشناقطة رحلاتهم كغيرهم من أبناء الشعوب الإسلامية؟

3 - العلماء الشناقطة وتدوين رحلات الحج:

ينبغي أن نشير في البداية إلى أن العلماء الشناقطة لم يعتنوا بتدوين رحلاتهم في الغالب ويعود ذلك أساسا إلى حرصهم الشديد على تمحيض تآليفهم للعلوم الشرعية وعزوفهم عن غير ذلك إلا في حالات نادرة.

ومن أقدم رحلات الحج الشنقيطية المكتوبة رحلة الحاج البشير بن الحاج أحمد البرتلي الولاتي التي تمت سنة 1204هـ، ويقول صاحب فتح الشكور إن مؤلفها: «يذكر فيها مراحل طريق الحج من تواتْ إلى الحرمين»، ويضيف صاحب فتح الشكور أن: «هذه الرحلة غير متداولة، ولا يوجد منها إلا نسخة وحيدة في ولاته»(8).

على أن هذه النسخة الوحيدة التي ذكر صاحب فتح الشكور وحدد مكانها لم تعد موجودة بولاته حسب علمنا، بل إن نسختها الوحيدة توجد اليوم بمكتبة جامعة الزقازيق بجمهورية مصر!

ومن رحلات القرن الثالث عشر الهجري المكتوبة رحلة التجاني الكبير بن بابا العلوي المتوفى بعد 1260هـ وقد ذكرها سيدي العربي بن السايح في كتابه "بغية المستفيد" وهو شرح لنظم "منية المريد" للتجاني، وهي رحلة مفقودة مع الأسف ويبدو أن ابن السايح اطلع على بعضها(9).

وهنالك رحلة ابن طوير الجنة الحاجي الوداني (ت: 1265هـ) وهي رحلة مشهورة متداولة بدأت سنة 1245هـ وانتهت سنة 1250هـ، ترجمت مرارا وحققت تحقيقا أوليا بجامعة انواكشوط.

وقد ظهرت رحلات عديدة في القرن الهجري الرابع عشر نذكر منها:

رحلة محمد محمود بن التلاميد التركزي الشنقيطي (ت: 1323هـ/ 1905) مطبوعة سنة 1319هـ بالقاهرة.

رحلة الشيخ محمد الامين بن فال الخير الحسني الشنقيطي(ت: 1351هـ/1932م) مطبوعة بغداد 1981.

رحلة البشير بن امبارگي اليدمسي الشمشوي (ت: 1365هـ/1943م) أرجوزة حققت تحقيقا أوليا بالمدرسة العليا.

رحلة محمد يحيى بن ابوه اليعقوبي (ت: 1349هـ) حققت تحقيقا أوليا بالمدرسة العليا.

رحلة محمد يحيى بن محمد المختار الولاتي (ت: 1330هـ / 1912م) مطبوعة بدار الغرب الإسلامي ببيروت 1990.

رحلة محمد فال بن بابا العلوي (ت: 1349هـ) حققت تحقيقا أوليا بجامعة انواكشوط.

رحلة الشيخ ماء العينين القلقمي (ت: 1328هـ/1912م) مخطوطة.

رحلة محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (ت: 1973هـ) مطبوعة دار الشروق جدة 1983.

وهنالك علماء عديدون حجوا وأثروا ولكن رحلاتهم لم تدون من ذلك مثلا: سيدي عبد الله بن الحاج إبرهيم العلوي

(ت: 1233هـ1818م)، ومحمد بن حبيب الله المشهور بالمجيدري بن حب الله اليعقوبي (ت: 1205هـ / 1788م)، والشيخ محمد الحافظ بن المختار بن الحبيب العلوي (ت: 1247هـ/ 1831م) وكذلك أبناء مايابى محمد العاقب دفين بفاس والمتوفى في العقد الثالث من القرن 14 هـ وكان حسب المؤرخ المختار بن حامد أعلم إخوته الإثني عشر، وأخوه الشيخ محمد حبيب الله صاحب زاد المسلم في ما اتفق عليه البخاري ومسلم وغيره وقد توفي بالقاهرة سنة 1364هـ/ 1945م، ومحمد الخضر دفين المدينة المنورة.

4 - دور حجاج العلماء الشناقطة:

وسأقتصر على نقطتين أساسيتين تتعلقان بدور العلماء الشناقطة في رحلاتهم الحجية مكتفيا بهما ومرددا قول امحمد بن احمد يوره الديماني:

وهذا من مناقبــــه قلـيـلٌوقد يَبْدُو
القليلُ مِن الكـثِـيرِ

النقطة الأولى: العلماء الشناقطة وترسيخ نشر العلم

النقطة الثانية: العلماء الشناقطة وترسيخ مفهوم الوطن

أ - العلماء الشناقطة وترسيخ نشر العلم

وفي هذا السياق سوف أتناول بإيجاز محور الإجازات ومحور التأليف ومحور التدريس والإفتاء.

- أولا: الإجازات

تعتبر الإجازات من أهم الميادين التي نالت اهتماما خاصا من لدن علماء شنقيط في حجهم، وقد كان الحجاز يعيش في القرنين الهجريين الحادي عشر والثاني عشر فترة ازدهار في دراسة الحديث ومصدر إشعاع لهذا الفن الشريف، وكان من أبرز محدثي الحجاز يومها العالم صَالحُ بن محمد بن نوح الفلانيُّ (ت: 1248هـ) المشتهر بعلو الأسانيد في زمنه، وقد حَلاَّهُ الكتانيُّ "بالإمـام المحدث الحافظ المسند الأصولي الأثري فخر المالكية"(10)،

وقد أجاز صالح الفلاني عبد الله بن أبي بكر الولاتي وأخذ عنه الولاتيُّ الحديثَ المسلسل بالأولية(11).وقد لقي صالح المجيدري وأعجب بحفظه فنوه بذلك كما ذكر أيضا الجيلاني بن المختار السباعي في معرض الإعجاب بقوة الذاكرة وسعتها(12).

كما أخذ الشيخ محمد الحافظ بن المختار بن حبيب العلوي في حجته إجازة حافلة في الحديث عن صَالحٍ الفلاني هذا، وقد انتشرت إجازة الشيخ محمد الحافظ هذه في غرب إفريقيا كما انتشرت في المغرب، وقد ساقها عبد الحي الكتاني متصلة في كتابه "فهرس الفهارس" حيث أخذها أثناء حجه عن محمد بن أحمد بن بدي عن أبيه أحمد بن بدي عن والده محمدي (بدي) بن سيدينا عن الشيخ محمد الحافظ عن صالح الفلاني إلى آخر السند المتصل. ويذكر الكتاني أن الإجازة مؤرخة بشعبان سنة 1217هـ، وكان الكتاني قد لقي محمد بن أحمد بن بدي بأبيار عباس بالحجاز سنة 1324هـ وأوقفه كما ذكر على الإجازة المذكورة العامة المطلقة(13).

ومن الإجازات المشهورة إجازة محمد بن المختار بن الأعمش العلوي (ت: 1107هـ) عالم شنقيط ومفتيها، وهي مأخوذة عن محدث الحجاز في القرن الحادي عشر إبراهيم بن حسن بن شهاب الدين الكردي الكوراني، وقد أخذ ابن الأعمش هذه

الإجازة بواسطة صديقه الحاج عبد الله بن بوالمختار الحسني(14).

وقد نشر خير الدين الزركلي نموذجين من إجازات الفقيه محمد يحيى الولاتي في كتابه الأعلام عند ترجمة الفقيه.

- ثانيا: التأليف

عرفت المكتبة الشنقيطية تزايدا جليا كان مصدره هؤلاء العلماء الحجاج، فأحمد بن الأمين العلوي صاحب الوسيط ألف جملة من الكتب اللغوية والأدبية وغير ذلك، ويكفيه أنه أول من عرف ببلاد شنقيط عن طريق كتابه الوسيط الذي ما زال رغم مرور أكثر من ثمانين عاما على نشره آخذا صدارة مراجع الأدب والثقافة بموريتانيا.

كما ألف ابن طوير الجنة وهو في طريق الحج كتابه "فيض المنان في الرد علي مبتدعة هذا الزمان" الذي لقي رواجا بالمغرب العربي في ذلك العهد أي سنة (1247هـ) وهي السنة التي مر فيها بليبيا حيث ألف الكتاب وتم تداوله بالمغرب ودُرِّس بجامع القرويين بأمر من السلطان عبد الرحمن بن هشام العلوي(15).

وخير مثال على المكتبة الشنقيطية ذات التأثير البين هو تآليف الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار "آبه بن اخطور" الجكني المتعددة والتي على رأسها بطبيعة الحال تفسيره "أضواء البيان".

وغير بعيد من موضوع التآليف ينبغي أن ننبه إلى ما كان يستصحبه هؤلاء الرحالة من مخطوطات نفيسة يبذلون في اقتنائها أموالهم بسخاء ويعتنون بنسخها إن عز الشراء، فقد جاء محمد يحيى الولاتي بعشرات الكتب، كما تحدث ابن طوير الجنة عن حمل ثلاثين بعيرا من الكتب استصحبها وهو عائد إلى ودان.

وحدث ولا حرج عن مكتبة ابن التلاميد التي جمع فيها ما شاء الله من أمهات كتب اللغة والأدب ونوادر المخطوطات وغرائب التآليف وحبّسها على عصبته، وها هي اليوم تشكل ركنا هاما مفيدا من أركان مخطوطات دار الكتب المصرية بالقاهرة، كما غذت هذه المكتبة الفريدة عددا كبيرا من الباحثين والمحققين بنسخ اعتمدوها في تحقيقاتهم، وأضحت "النسخة الشنقيطية" نموذجَ الصحة والدقة والضبط.

وقد اطلعت على صورة من خط سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي عند قدومه من الحج يبشر أهل تيجگجه بقدومه حاملا ثلاثة أحمال من الكتب.

ثالثا: - الإفتاء والتدريس

أخذ الإفتاء جانبا هاما من نشاط العلماء الموريتانيين وهم في رحلة الحج سواء أكانوا في البقاع الطاهرة أو في الطريق منها وإليها، وهذا الإفتاء يوضح بجلاء مسألتين، فيعكس من جهة درجة عالية من التضلع في العلم والتمكن من أبعاده كما يعكس من جهة أخرى موسوعية العالم الشنقيطي.

فمحمد يحيى الولاتي أصدر مثلا في رحلته وحدها ما يزيد على 30 فتوى في التوحيد والتفسير والفقه والتصوف واللغة(16). وقد تناولت فتاوى الولاتي مواضيع في غاية الأهمية منها مثلا حكم إثبات رؤية الهلال عن طريق وسائل الاتصال العصرية (التلغراف)، كما تطرق إلى حكم التفاضل بين النقود المسكوكة في المبادلات وقضاء الدين...الخ

ورحلة محمد الأمين بن محمد المختار الجكني (آبّه بن اخطور علما) تعكس نفس الملاحظة من حيث تعدد الفتاوى

وتنوعها(17). ومن ضمن فتاوى الجكني ما يتعلق بالتوحيد والمنطق والفقه واللغة وشعر العرب، وقد أبان الولاتي والجكني كلاهما عن عبقرية فذة نادرة ونزعة سُنية متأصلة وفهم دقيق لمقاصد الشريعة الغرَاء.

أما التدريس فقد شكل مشغلا أساسيا من مشاغل العلماء الشناقطة أثناء رحلتهم الحجية، ومن العجيب أنهم كانوا يُدَرسون الحديث النبوي ومصطلحه بالحجاز مع أنه لم يكن كثير التناول بمحاظر شنقيط، فمحمد الأمين بن فال الخير الحسني جلس يدرس بمكة المكرمة، وكان من ضمن ما تناول من النصوص ألفية العراقي في مصطلح الحديث وكذلك مقامات الحريري في الأدب(18).

أما محمد يحيى الولاتي فقد درس موطأ الإمام مالك وكتاب عقود الجمان في البيان للسيوطي وهو إذ ذاك بالمدينة المنورة(19).

وكان لابن التلاميد التركزي درس مشهور في الحرم المدني قبل أن تحدث بينه جفوة مع الحجازيين(20).

وقد جلس آبه بن اخطور الجكني يدرس تفسير القرآن الكريم بالمسجد النبوي بتكليف من الملك عبد العزيز بن سعود وختم تفسيره مرتين(21) وكانت نتيجة ذلك أن أخرج للناس كتابه الفريد "أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن".

وكانت لهذا الشيخ دروس في جامعات الرياض ومساجدها كما ترأس إحدى جلسات هيئة كبار العلماء بالسعودية(22).

وفضلا عن التدريس والإفتاء تولى بعض العلماء الشناقطة خطة القضاء من ذلك مثلا محمد عبد الله بن محمد بن آدو الجكني فقد كان قاضيا في ينبع وجيزان بالسعودية(23).

وتولى أحمد بن المنجى الإيدچيبي إمامة مسجد مشهور بالطائف (مسجد ابن عقيل)، كما أمَّ لعدة سنوات بالرياض وكانت له حظوة عند الملك عبد العزيز بحيث لا يحجب عنه(24).

وهنالك المناظرات العلمية التي كانت تدور بين الشناقطة وغيرهم من علماء الحجاز والتي ساهم ابن التلاميد التركزي بدور لا يستهان به في مجالها، مع ما نتج عن ذلك أحيانا من صدام وتنافر، من ذلك مثلا مناظرات ابن التلاميد لبعض العلماء في بلاط شريف مكة الشريف عون، ومن نتائج ذلك تعليق ابن التلاميد على شرح عكاش اليمني للامية العرب وقد سماه "إحقاق الحق" (25).

وعلى العموم كان للشناقطة دور لا يستهان به في الإفتاء والتدريس والقضاء والإمامة والمناظرات وهي كلها مجالات العطاء العلمي والتأثير الثقافي.

إن العلماء الشناقطة قاموا بدور جلي في نشر العلم في رحلاتهم إلى الحج فأثروا وتأثروا وعاد من عاد منهم إلى بلاده حاملا معه الإجازات والمكتبات وغير ذلك، على أن هذا الدور العلمي على سعته وشموله يصعب أن أحيط به بجرة قلم(26)، لذلك سألجم اللسان وأثني العنان لأتناول النقطة الثانية ألا وهي:

ب- ترسيخ العلماء الشناقطة الحجاج لمفهوم الوطن:

لم يقتصر دور حجاج العلماء الشناقطة على نشر العلم وترسيخه بل تجاوزه إلى اهتمام آخر خطير وجليل فقد

كان هؤلاء العلماء من أول من طرح فكرة القطر الشنقيطي وتميزه فكيف تم ذلك وما هي أبعاده؟

ولكي تكون الفكرة واضحة ينبغي أن نضعها في سياقها الاجتماعي العام، ذلك أن الحجاز عرف حضورا مكثفا للعلماء الشناقطة منذ القرن الحادي عشر ليزداد الحضور وينتظم في القرون الموالية (الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر) وقد نتج عن هذا التدفق، الذي لم يكن في الحقيقة مقتصرا على الشناقطة بل كان الحجاز مستقطبا لجميع أبناء الأمة الإسلامية، وضعٌ اجتماعي جديد أصبحت معه الجالية الشنقيطية ذاتَ وجود عددي (ديموغرافي) لا بأس به.

وعلى هذا الأساس كان لا بد لهذه الجالية أن تأخذ نصيبها من أوقاف الحجاز، وكانت المؤسسة الوقفية الحجازية مزدهرة في هذه الفترة لأسباب متعددة ليس هذا محلَّ تفصيلها.

وقد وجد الشناقطة إحراجا حينما منعهم بعض إخوانهم المغاربة من أن يكون لهم نصيب في وقف المغاربة بالحجاز بادعاء أن بلاد شنقيط من السودان(27)، فبدأ النزاع بين الشناقطة وإخوانهم المغاربة حول هذه القضية.

ومن أقدم النصوص التي تحدثت عن هذه القضية إشارات العلامة مرتضى الزبيدي في كتابه "معجم المشايخ" حيث يذكر أن عبد الرشيد الشنقيطي مر به سنة 1199هـ بالقاهرة ذاهبا إلي المغرب من أجل استصدار شهادات تثبت أن الشناقطة مغاربة وليسوا سودانا، وقد كتب له التاودي بن سوده ذلك الإثبات، كما كتبه له بعض علماء مصر ومن ضمنهم المرتضى(28).

ويبدو أن ملف قضية أوقاف الحجاز لم يطو إذ نجد ابن التلاميد يتابعه قرنا ونيفا من الزمن بعد عبد الرشيد الشنقيطي فقد سافر التركزي سنة 1304هـ إلى الآستانة عاصمة دولة بني عثمان طلبا لرفع حرمان الشناقطة من وقف الحجاز(29).

ولم تفلح مساعي ابن التلاميد بالآستانة وظل الأمر عالقا، وفي سنة 1317هـ حل ابن الأمين العلوي بالمدينة وطرحت عليه المسألة، فقدم شواهد ودلائل عبارة عن نقول لسيدي العربي بن السايح والمرتضى الزبيدي فلم تغن شيئا، وحكم مفتي المدينة يومها تاج الدين إلياس بعدم مغربية الشناقطة زاعما أن ذلك مقتضى ما في الجغرافيا(30).

والطريف في الأمر أن مسألة الأوقاف قد رافقها وعززها ميلٌ من طرف الشناقطة إلى التأليف في علوم الأنساب الشنقيطية وتوضيح أصولها العربية لتأكيد عروبة هذا البلد.

فلا يستبعد عندي أن يكون سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي قد ألف رسالته"صحيحة النقل في علوية إيدوعلي وبكرية محمد قلي" في هذا السياق، خصوصا وأنه من المفترض أن تكون نسبة المقيمين بالحجاز من هاتين القبيلتين مرتفعة، خاصة وأن هاتين القبيلتين إيدوعلي والأقلال كانتا في الأصل تسكنان شنقيط حيث ينطلق ركب الحج، ولنلاحظ اعتماد سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم في رسالته "صحيحة النقل" على رواية مرتضى الزبيدي التي تؤكد النسبة العلوية والبكرية للقبيلتين، إذ من الواضح أن المرتضى كان من أهم من عرضت عليه مسألة الشناقطة وأوقاف الحجاز وبَيَّنَ رأيه فيها مؤكدا ارتباطهم العربي كما مر آنفا.

وربما كان ابن الحاج إبراهيم قد عاين

"هضم حق" الجالية الشنقيطية من وقف الحجاز عندما حج، فألف رسالته "صحيحة النقل" نفيا لربط الشناقطة بالسودان وتوضيحا لأصولهم التاريخية المشهورة وربطهم بأصولهم العربية وبالتالي أحقيتهم في الوقف الحجازي.

وإذا ما علمنا أن رجوع سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم من حجه كان سنة 1190هـ كما نصت على ذلك حوليات تيجگجه، وذكره ابن طوير الجنة الحاجي الواداني في تاريخه وزاد أنه مكث في سفره سبع سنين(31).وإذا ما علمنا أيضا أنه أي سيدي عبد الله ألف رسالته "صحيحة النقل" منتصف ربيع الثاني سنة 1205هـ، تبين أن القرائن التاريخية تدل على أن ابن الحاج إبراهيم عايَش السياق التاريخي الذي عرف ظهور مسألة الوقف الحجازي وقيام عبد الرشيد الشنقيطي وقعوده في شأنه؛ فكان حجه قبيْل تحرك عبد الرشيد بتسع سنين وكان تأليفه للرسالة بعيد ذلك بست فتأملْ.

ولو نظرنا إلى المؤلفينَ في مجال الأنساب الشنقيطية فيَ هذه الفترة لوجدنا أن أغلبهم كان من العلماء الحجاج أو كان على اتصال بهؤلاء العلماء وبالتالي جاءت تآليف الأنساب في هذه الفترة تخدم كلها فكرة الأصل العربي الجلي والواضح عندما حاول البعض نفيه، فصالح بن عبد الوهاب الناصري (ت: 1271هـ) ألف في أنساب بني حسان كتابه الحسوة البيسانية، وصالح بالإضافة إلي كونه تلميذ سيدي عبد الله كان قد ألف الحسوة بطلب من محمد محمود بن سيدي عبد الله نفسه كما صرح بذلك في مقدمة الحسوة، فربما كانت أسرة أهل الحاج إبراهيم العريقة المعروفة بكثرة حجاجها قد أحست بضرورة استصدار هذا النوع من التآليف وأخذه من مصادره المعتمدة دفعا لتلك الشبهة التي أثيرت بالحجاز.

وهذه الفكرة يمكن أن نعززها بكون الشيخ سيدي المختار الكنتي الذي كان حسب علمي أول من ألف من الشناقطة في أنساب بني حسان، كان هو الآخر على اتصال بمرتضى الزبيدي وقد راسله مرارا كما في الطرائف والتلائد للشيخ سيدي محمد، فمن الجائز أن يكون المرتضى المعروف بحب الاطلاع قد استفهم من الشيخ الكنتي في مراسلاته معه عن أصول بعض القبائل الشنقيطية خصوصا وأن الشناقطة قد اتصلوا به من أجل أخذ رأيه في أصولهم(32).

وفي نفس السياق يمكن أن نضع تأليف سيدي أحمد بن حبت الغلاوي (ت: 1237هـ) حول أنساب القبائل الواردة إلى القطر التكروري المشهور، فليس من المستبعد أن يكون ابن حبت الغلاوي الشنقيطي اصطلى هو الآخر بنار تهمة الانتماء السوداني التي أثيرت بالحجاز أكثر من مرة.

ومن هنا يمكن أن نفترض أن البحث في الأنساب الشنقيطية في هذه الفترة بالذات كان من أجل غاية نبيلة ألا هي إثبات حق شرعي بحجج تاريخية مُوَثقة لكي يتمكن أصحاب ذلك الحق من استرجاع حقهم.

ويتبين من هذا أن ما يذهب إليه بعض المستشرقين المهتمين بتاريخ موريتانيا من أن اهتمام الشناقطة بالأنساب ليس سوى نتيجة تعرب طارئ فرضه تغلب قبائل بني حسان على البلاد، وأن الزوايا "البربر" انتحلوا النسب العربي تقيةً من بطش بني حسان واعتصاما من أذيتهم واحتماء بالنسب الرفيع من نكايتهم، يتبين أن هذه الفكرة لا يعول

عليها فليس لها أساس من الصحة بل هي تحامل سافر ودعوى بلا بينة

والدعاوي ما لم تقيموا
عَلَيْهَا بَيِّنَات أبْنَاؤهَا أدْعِيَاءُ

فالاهتمام بالأنساب الشنقيطية وخاصة في هذا الظرف التاريخي جاء في ظني، والله تعالى أعلم، وليد إحساس العلماء الشناقطة الحجاج بهضم حق إخوتهم المقيمين بالحرمين وادعاء انتمائهم إلى أصول بعيدة من أجل حرمانهم من حقهم الطبيعي والعرفي.

وعلى هذا الأساس نفهم أن دور العلماء الشناقطة الحجاج شمل هذا البعد السياسي الاجتماعي النبيل، حيث دافعوا بأقلامهم عن أبناء جلدتهم فركزوا بذلك "مفهوم الشناقطة" بكل ما لهذا المفهوم من دلالات تفيد رسوخ العلم وفصاحة اللسان وتفتق قرائح الشعر، فتمحضت بذلك نسبة أبناء هذا البلد إلى شنقيط، وبها عرفوا في الخارج من باب تسمية الكل بالجزء، فهذا المفهوم الذي يحقق الولاء للوطن ويميز هذا الوطن عن غيره كان من إفراز العلماء الشناقطة الحجاج، ومن هنا نفهم أن مساهمتهم في نشر الوعي بالوطن وترسيخ مفهوم المواطنة بل وإعطاء هذا الوطن اسما خاصا أمور لا تقل شأنا عن دورهم في نشر العلم وترسيخه.

5 - خاتمة:

إننا بعد أن أكدنا على الدور الخطير والمتميز الذي قام به العلماء الشناقطة في حجهم لا على مستوى نشرالعلم فحسب بل وعلى مستوى ترسيخ مفهوم الوطن، ينبغي أن نشير إلى مسألة أساسية وهي أن هؤلاء العلماء لم يكونوا هم أعلمَ أهل بلادهم، فمحاظر العصابة قد أنتجت كثيرا من العلماء غيرَ آبه بن اخطور، ومدرسة اليعقوبيين لم تنتج المجيدري بن حب الله وحده، ولم يكنِ سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العالمَ الوحيد الذي عرفته قبيلة إيدوعلي، ولكن هؤلاء القوم قد شاءت الظروف أن يسافروا وأن يحتكوا بالعالم الخارجي وبالتالي تفتقت عبقريتهم وظهر تميزهم عندما دخلوا الحواضر الإسلامية الكبرى وانفصلوا عن هذا "المنكب البرزخي" النائي، وفي ملتي واعتقادي أنه لو توفرت الظروف لمحمد اليدالي أو حرمة بن عبد الجليل أو المختار بن بونا أو غيرهم فسافر لوقع له مثل ما وقع لهؤلاء أو أكثر.

فالمسألة إذن هي أن هذه البلاد قد عرفت من سنة 427هـ إلى سنة 1367هـ (أي من عام حَجة يحيى بن إبراهيم الگدالي إلى عام حَجة آبه بن اخطور الجكني) نهضة علمية ينبغي أن نفهمها وندرسها، وأننا اليوم مطالبون أكثر من أي وقت مضى بالالتفات إلى هذا التراث الحي واستيعابه واستلهام قِيَمه حتى نستطيع أن نجد لأنفسنا موطئ قدم في التاريخ المعاصر.

إن العصر الراهن عصر علم، وصراع الثقافة فيه أشد وأقوى من صراع النار وقد ترك لنا هؤلاء الأجداد سلاحا قوامه العلم ولحمته التقوى وسداه التواضع، ولو استطعنا أن نجربه لتمكنا من الاستفادة من الغير دون الذوبان فيه وأخذ إيجابيته دون الانغماس في أوحاله.

القصة القصيرة بموريتانيا [1]

الاستاذ محمد ولد تنا ولد المصطفى

ندوة القصة القصيرة وملاحقة الواقع

لموضوع هذه الندوة -كما هو واضح- شقان يحيل الثاني منهما إلى محيط تطبعه التحولات. ويحيل الأول إلى صنف تعبيري متميز يحاور هذا الموضوع من إشكالات وليس الوكد من الندوة أن تثير أو تعالج ما يطرحه هذا الموضوع من إشكالات التنظير للصنف التعبيري وللوسائط التي تربط بينه وبين الواقع المعيش.

فموضوع الحديث هو الكتابة القصصية في هذا البلد خلال العقدين الماضيين من هذا القرن: ما الحاجة الموضوعية التي دعت إليها؟ إلى أي حد واكبت الكتابة تطور تلك الحاجة. وما هي آفاق هذا التطور؟

هذه التقضايا نريد أن نمر بها مر الكرام من خلال الملاحظات التالية:

من القصة القصيرة حديث النشأة نسبيا في العالم العربي عموما وهو في بلادنا أحدث إذ تعود نشأته فيما يرى بعض الباحثين إلى ما بعد سنة 1970 ولئن أمكن العثور على محاولات سابقة لهذا العهد فإن ما أتيح لنا الإطلاع عليه منها لا يرقى إلى المستوى الضروري فنيا.

إن نشأة لون تعبيري ما في أي ثقافة كانت تتداخل فيها -كما تتداخل في الظواهر الإنسانية عموما عوامل مختلفة باختلاف أبعاد الظاهرة المدروسة. وبخاصة عندما يكون اللون التعبيري منتميا لحقل ثقافي مغاير مجملا بمفاهيمه ورؤاه. والقصة القصيرة في «غزي» نقل كالرواية والمسرحإلى الأدب العربي الحديث في إطار مشروع حضاري يستهدف تغيير البنيات الثقافية والاجتماعية، لقد كانت الحاجة إلى هذه افنون يومئذ «ماسة» وكان من «الضروري» أن تنقل ليكون «أدبنا في مصاف الأداب «العالمية». هذا التأثير الغربي لم نتلقه على غرار أبناء المغرب العربي إلا عبر الوسيط المشرقي المتمثل أساسا في كتاب مصر ولبنان وأوائل رواد مقرّون بأن محاولتهم الأولى كانت نابعة من تساؤل طفولي يشوبه إحساس ما بالنقص: لمذا لا يكون لدينا -كسائر الأقطار العربية- أدب قصصي؟ ومن ثم «اتخد القرار»

لسد هذا النقص فكانت المحاولات الأولى للخليل النحوي وكابر هاشم ثم محمد فال ولد عبد الرحمن(2) لكن لتأثير الخارجي والمحاكاة مهما يكن دورهما لا يستطيعان دون العوامل الخاصة بالبنية الاجتماعية، تفسير نشأة هذه الظاهرة واستيعاب المحيط الثقافي لها.

لقد سبب الغزو الاستعماري للبلاد في مطلع هذا القرن وكارثة الجفاف التي ضربتها تحولا جوهريا في أنماط معيشة البلد وفي منظومات القيّم الأخلاقية والجمالية المرتبطة بها. وكانت المدن المرتجلة وجهة لجميع الساعين إلى حياة أفضل عن طريق العلم والعمل ومصطرعا بجميع الأطروحات الثورية العالمية والمشروعات النهضوية العربية.

فكان لا بد من أشكال تعبيرية تستطيع استيعاب هذه المعطيات، ومن ثم نشأت القصة كشكل يستطيع لمّ شتات هذا الواقع المبتذل الممزق ليجعل له أفقا ومعنى، كما يستطيع ملاحقة تحولاته وجميع ما كتب في هذا البلد لا يخرج من الوجهة الموضوعاتية عن دوامة التحول هذه(3).

غير أن ثمة فرقا أساسيا -من الوجهة الموضوعاتية دائا- بين أعمال الروّاد الأوائل وأعمال الجيل اللاحق. ففي السبعينات كان لا يزال للفكر الثوري في البلاد وعلى مستوى العالم كل ما كان له من ألق. وكان «البديل» واضحا جاهزا. أما في الثمانينات فقد كانت أسفار الثورة وأحلام النهوض قد بدأت تفلس وشاعت فيما يكتب مظاهرة الحيرة والنهايات المأساوية للبطولات الزائفة. والقدرة الخارقة للمجتمع على استيعاب جموح الجامحين وثورة الثائرين -من الأكيد أن هذه الفترة قد عرفت تطورا لا بأس به في تقنيات الكتابة القصصية، إذ أن الشكل نفسه في بعض الأحيان هو المضمون الحقيقي لقصص هذه المرحلة، ولكن ثمة عدة عوامل تجعل مستقبل هذا اللون من الكتابة غير واضح، فما يكتب لا يقرأ، لأنه لا ينشر، وما ينشر لا ينقد. والكتابة القصصية - إذا نحن استعرضنا سير الكتاب -نزوة شباب، لا تلبث أن تدين للتعقل والسن وضغوط المؤسسة الاجتماعية التي تبحث -عن جهل أو عن سودنية- لكل شخصية في القصص عن مقابل في محيط الكاتب.

---

(1) مداخلة أعدت لندوة «القصة القصيرة وملاحقة الواقع» التي نظمتها وزارة الثقافة في دار الشباب الجديدة بتاريخ 1992/6/16

(2) حديث شخصي مع الاستاذ كابر هاشم في صيف 1992.

(3) لا نستثني من ذلك إلا (الراقصة) و (النهر المجنون) لمحمد فال عبد الرحمن الواردتان ضمن مجموعة (عنوانك وزادي).

محمدُ ولد أحظانا

حكايةُ «روح الغول»(*)

-١-

قال راو حدّب الدهر كاهله، حتي كاد يمرغ شفتيه بالتراب، فأشفق عليه وأسند له ذقنه بركبته، وهدّ حاجبيه على جفوفه حتي لايري حاله، وبيّضت الأيام المتتالية رأسه وعشعشت الليالي الحالكات في نور عينيه، ولم تسط علي لسانه عوادي الزمن:

سمعت عند أسلافي أن أقواما كانوا يعيشون على الأرض يوم كانت الصخور ناعمة يؤثر القدم في أديمها فتنطبع عليها زخارفه الجميلة، وتتحجر، فنراها كأنها من يومنا هذا على قمم الجبال وبين شعابها المنزوية. وكان من بين أولئك الأقوام رجل عظيم الشأن من أهل السر تخدمه الدواب والهوام وينطق الجماد.

وكانت له سبع بنات، كل واحدة منهن كريمة كرم العقيق، إن رأتها عين استحيت من إعادة النظر إليها إشفاقا من خدشها.

-٢-

مر أحد غيلان السماء ببيت الرجل فرأى الفتيات يلعبن «أم الديار»(1) ويضحكن فتشكل لهن في صورة نملة حتى خطف كبراهن. لم تفقه الفتيات شيئا إلا وأختهن قد غاضت في الأرض أو ذابت في الهواء. بكين حتي احمرت مقلهن الجميلة ولما عاد أبوهن أخبرنه فحشد حشودا عظيمة من رجال أشداء سيقانهم كسيقان الدوم وسواعدهم تفح فحيح الثعابين في شقوق «شمامه»(2) وحشرهم عند باب خيمته.

لكن في مثل ذلك الوقت من يوم غد تسلل الغول في هيئة هبائية من بين الرجال الأشداء وبين طرفة عين وانتباهتها اختفت الفتاة الموالية.

استدعى الرجل حرسا من الوحوش الكاسرة، إلي باب خيمته، لكن البنت الثالثة اختفت، وفي اليوم الربع حشر الطيور في سماء خيمته لكن الغول اختطف البنت الرابعة، وفي الخامسة خامسة وفي السادس سادسة.. وفي اليوم السابع أقفل الوالد قصرا منيعا بناه على آخر بناته لكن الغول الذي يخترق الحصون الحصينة جاءها وخطفها.

-٣-

بعث الوالد البشر السيار والحيوانات الماشية والزواحف وطيور السماء تبحث له في الآفاق. ولكنها عادت بعد سبعة أيام بلياليها دون أي أخبار عن الفتيات السبع.

حشرت المخلوقات قاطبة وتشاورت. واتفقت على أن البنات في السماء السابعة ولسن في الأرض ولافي سماواتها. قالوا: من يبحث لنا في السماء السابعة؟

فقال النسر: أنا أطير بمن يستطيع أن يسمو فوق مقامي. وقالت النحلة: أنا أطير فوقك إلى مقامي بمن يستطيع أن يسمو علي. وقالت الذبابة: أنا أطير إلى نهاية مدى الكائنات وآتيكم بما سمعت من أخبار.

قال لها والد الفتيات السبع إذا عرفت مكانهن فادخلي في أذن صغراهن واسأليها كيف ننقذهن؟

أخذت النحلة الذبابة في خرطومها ودس النسر النحلة تحت خافيته وصعد إلى السماء السابعة دائرا دورات واسعة متصاعدا والحيوانات وسيدها يحدقون بإعجاب في أجنحته التي تحجب أشعة الشمس.. إلى أن غيّبه البعد في غياهب السماء

(*)حكاية من مجموعة: «روائع الأساطير الموريتانية»

-٤-

بلغ النسر مقامه الذي لايتجاوزه من السماء فأطلق النحلة كالسهم إلى أعلى . بلغت النحلة مقامها الذي لا تتجاوزه فاطلقت الذبابة كالشهاب في ظلمة السماء وعندما بلغت مقامها الذي لاتتجاوزه ويئست من اكتشاف أي شيء التفتت فرأت قصرا عظيما معلقا في السماء.. تسللت إليه من نافذة فيه، وعاينت الغول وهو يتوسد فخذ الفتاة الصغرى والفتاة تفلي له رأسه ولحيته، وأخواتها منهمكات في خدمة الغول الهائل. نزلت الذبابة على خد الفتاة وتمشت إلى أذنها وقال لها سرا: أرسلني إليك أبوك يسأل كيف ينقذكن؟ فبكت الفتاة وسقطت لؤلؤتان ساخنتان من دموعها على جبين الغول.

فقال لها: ما يبكيك يا فاتنة؟

قالت له: لأنك ستموت عنا ونبقي في هذا القفر الأبدي.

فربت على ذراعها مطمئنا وقال:

- أموت أنا؟ أنا لن أموت فروحي تتقمص مهاة ترد الماء مرة واحدة في السنة يوم الدبران(3). فإن ماتت المهاة طارت منها غزالة تتقمصها روحى لا تدركها البروق، فإذا ماتت الغزالة طار منها غراب ناعق تتقمصه روحي، فإذا مات الغراب ركضت منه قطاة لا تنام، فإذا ماتت القطاة سقطت منها بيضة صلبة، فإذا انكسرت البيضة مت أنا.

عادت الذبابة إلى النحلة فأخبرتها بما سمعت وشاهدت فاحتضنتها وعادت بها إلى النسر فأخبرتاه بما لقيتا. هبط بهما النسر كالسهم الثاقب وحط بهما بين الجموع الذي كانت تنتظر وقصوا الخبر.

-٥-

قيل: من يتكفل بالمهاة؟

قالت الشعرانة: أنا أعطشها حتى ترد الماء من يومها. وقال الأسد أربض لها عند الأضاة حتي إذا وردت الماء قتلتها.

قالوا: من للغزالة؟

قال الفهد: أنا أطاردها وأقتلها.

قالوا: من للغراب؟

قال العقاب:- أنا أطوح برأسه في الهواء.

قالوا: من للقطاة؟

قال البازي: أنا لها في أفحوصتها تحت أغصان شجرتها.

قالوا: من للبيضة؟

قالت الحمامة: أنا لها أفقسها دافئة..

-٦-

تسلطت الشعرانة على المهاة حتي أوردتها، فقتلها الأسد. وإذا الغزالة تخرج منها وكان الفهد بالمرصاد. طار الغراب فصفعه العقاب بمنسره. خرجت القطاة من روح الغراب فعاجلها البازي. سقطت البيضة فنقرتها الحمامة نقرة واحدة سالت منها روح الغول في قصره بالسماء السابعة.

-٧-

قال الغول وهو يلفظ أنفاسه في قصره المشيد على حبال معلقة بثقوب السماء: «وضعت سري في غري، وأصبحت من النادمين، فبحق عظمة ربي، لا أثق في بعدها في الآدميين».

عقدت الذبابة حبالا متينة في أركان القصر وأدلتها إلى النحلة فأدلتها النحلة إلي العقبان والنسور فجذبو القصر إلى مقامهم. ومن ثم حملوا البنات واحدة واحدة إلى والدهم. فأرسل الرسل وعمم الهدايا والولائم على أرضه وأعطى كل واحدة من بناته لابن عم هلا، ولم يعد يمنعهن كما كان.

---

(1)-لعبةالمحولة التي تعتبر من أقدم اللعب البشرية المعروفة.

(2)- السهل الخصيب علي ضفة نهر السينغال

(3) - منزلة في النجوم، ومطلعها في الحر.

خواطر حول معرض فني

الاستاذة: السالكه بنت اسنيد

متريز آداب، رئيسة قسم البحوث والتحقيقات بإذاعة موريتانيا

«الكلام علي الكلام صعب»، لكن الكلام علي الفن التشكيلي أصعب. ومع ذلك نتجاسر ونحاول استنطاق اللوحات التي ضمها معرض الفن التشكيلي الذي نظم بداخل المركز الثقافي السوري مساء يوم الثلاثاء 7/نونبر /1995م

يطالع الزائر أول مايدخل إلي ساحة العرض قوس من اللوحات المسمرة فوق أقمشة بيضاء علي جدران القاعة. ومع نهاية الجدارتلف القوس رمال ناصعة البياض تتخللها شجيرات يحاصرها بحر من الرمل من كل ناحية، وهي تغالب أمواج هذا البحر المتلاطم.

وشيئا فشيئا، وعندما يقترب الزائر من اللوحات المعروضة، يتبين أن قوس المعروضات يتألف من عدة أجنحة تشكل النسيج العام لمعرض الفن التشكيلي.

علي يمين الزائر جناح الفنان التشكيلي سيدي محمد ولد أحمد يحي تقرأ الإسم، تتلقاك لوحة مركبة من ألوان مختلفة تتزاحم بداخلها الرسوم والألوان، وهي تستحثك علي أكثر من قراءة، وتطالعك لوحات أخري تشمل الأرض والسماء بكامل اتساعهما وهما تحتضنان أشجارا تغالب الريح.. لوحات أخري تمثل لحظات الخصب في الصحراء.

ومع نهاية هذا الجناح يطالعنا الرسام السوري الأستاذ حطيطو بإبداعاته المتنوعة، التي تشمل رسوما لوجوه موريتانية جميلة.. فتيات يتجولن داخل إحدي الواحات، في مشهد يعكس الجانب المتفائل من الحياة الموريتانية، إلي جانب قري صغيرة غارقة في بحر الرمل تحيط بها شجيرات منزوية، تغالب الريح، ورجل موريتاني يقطع الكثبان بثبات وصمود رغم عبث الرياح بثيابه وجسمه، وتغطي الجو زوبعة رملية تطبق مابين السماء والأرض هي إحدي العواصف التي تعكس عمق خطر التصحر علي البيئة والإنسان وزعزعة سكينتهما علي الأرض. تتخلل المشاهد فتيات يجلسن في غرفة تضرب إحداهن علي آلة آردين والإخريات يستمعن، وبجانبهن الأواني ومواعين الشاي وبعض الوسائد التقليدية الصنع. عندما نتحول إلي مشهد آخر نري خياما في العراء وشجيرات تعاني الجفاف وأبنية منهكة.. ليلون الفنان جناحه بقرية نهرية بها عدد من الزوارق السابحة في زرقة الماء بين بساط الخضرة، وترقب المشهد قرية عتيقة، ثم قباب وألواح وشيخة تقرأ في كتاب، ووجوه موريتانية عربية تلتحف الملحفة والدراعة..

نتقدم شيئا فشيئا مع قوس المعروضات فنصل إلي جناح أحمد ولد أعمر، يعود بدوره لرسم الوجوه الموريتانية ولكن هذه المرة يتحفنا بطفل في حجر جارية، وفتيات يجملن عروسا من عرائس المدينة دون أن ترفض التجميل؛ بل إنها تشارك وتتخير مع زميلاتها أجمل الحلي وتنتقي منه ماينا سب ذوقها وحاجتها!!

ومن بين لوحات هذا الفنان لوحة مخيفة تجمع بين شاب وشيخ وجمجمة وتتوسط المشهد بقعة حمراء.. تبين هذه اللوحة -من بين أمور أخري - الإستمرار الذي لايمكن أن يكون دون المرور بالموت والفناء، فعبر الفناء تنزرع الحياة وتخرج أجيال جديدة تحافظ علي النوع

والإستمرارية.. أوهذا علي الأقل مافهمته من هذه اللوحة المزعجة.

ونصل إلي محمد ولد اچه فيستقبلنا شيخ يتوكأ علي عكازته مع نسوة محتشمات في زيهنا التقليدي، والمجموعة تحاول أن تعبر طريقا معبدا، يشق مفازة تخلو من كل مظاهر الحياة الطبيعية. إلا أن الطريق نفسه يبعث علي الأمل والإتصال بباقي أجزاء الوطن، إن لم يكن طريق الأمل بعينه. هناك شيخ يصلي منفردا في العراء وبجانبه شجيرات وأعشاب متناثرة تومئ بانحسار الأمطار عن هذه المنطقة، ثم يطالعنا مظهر من مدينة ولاته بزخارف منازلها المميزة.

هذه صورة سريعة مكسرة عن مختلف أجنحة هذا المعرض فلنحاول تحديد الطابع المشترك لمختلف اللوحات المعروضة، وعكسها لهواجسنا وهمومنا الكبري وذوقنا العام:

1- شكلت أجنحة الرسامين داخل القاعة قوسا جميلا من الرسوم التشكيلية تتشابك داخله الألوان من كل صنف مشكلة نسقا جماليا يشبع الناظر ويغذي الفكر ويطلق الخيال المجنح في فضاء الإنطباعات والتأويلات المتنوعة.

2- لايخلو أي جناح من حضور هاجس التصحر، إما بشكل صريح، وإما بشكل إيمائي، ويتجلي ذلك من خلال المنظرالعام للمعروضات، ومن خلال الأشجار التي تغالب العواصف والزوابع الرملية، والألوان الترابية المعبرة عن أنماط الفناء. كما تتخلل مختلف المناظر أشجار العشر التي ترمز لنبات الأرض المتصحرة. وتظهر الأبنية الريفية غارقة في أمواج الرمل. علي أن بعض اللوحات أبانت عن وجه صمود وتصدي الإنسان الموريتاني الذي يغالب العواصف والجفاف والتصحر بقسمات ثابتة.

3- تظهر اللوحات المرحلة الإنتقالية التي يمر بها المجتمع الموريتاني من خلال الأزياء وطرق الضفر والحقائب اليدوية واستعمال المواقد الغازية أثناء إعداد الشاي، وأساليب تجميل العرائس.. وغير ذلك من المظاهر التي تزاوج بين الحداثة والأصالة، وهي صفات يراها الزائر لعاصمتنا حيث تتعانق الخيمة والعمارة، وتتشبك الحشية والقطيفة مع الحصير ووسادة النقش، وتتداخل طرائق الأكل.. وغير هذا وذاك في الشارع العام والبيت.

4- كل اللوحات المعروضة ستساهم لامحالة في الرفع من المستوي الفني العام، وتبين للمهتمين بالفن وكذلك للجهات المعنية ضرورة إدراج الفن التشكيلي في الإهتمامات الثقافية العامة، حتي تستقيم نهضتنا الثقافية والأدبية والفنية علي أسس متكاملة تركب أجنحة الشعر والقصة والمسرح والفنون التشكيلية وغيرها من أصناف الآداب والفنون علي قدم المساواة. فقد حان الأوان لنزع الحاجز النفسي بيننا وبين الفنون التشكيلية.

5- علي العموم فإن "جميع اللوحات التي شكلها المعرض تتوزع إلي صنفين:

ا- صنف واقعي مشرق الظلال والأضواء تكاد وجوهه أن تتكلم لنصاعة وواقعية أدائه الفني.

ب- صنف تجريدي رمزي مبهم الملامح، ولكن فنيته تكمن في ثراء إحالاته المتنوعة.

تدشين مكتبة العرفان الوقفية للمطالعة الحرة

أشرف معالي وزير الثقافة والتوجيه الإسلامي السيد الإمام ولد تگدي يوم الأثنين 27 نوفنبر 1995 علي تدشين مكتبة العرفان الوقفية للمطالعة الحرة .

وقد حضر حفل التدشين فضيلة الشيخ محمد سالم ولد عبد الودود رئيس المجلس الإسلامي الأعلي، وفضيلة الإمام بداه ولد البصيري، وكل من السادة: الأمين العام لوزارة الثقافة والتوجيه الإسلامي ومستشارو الوزير، والمديرون المركزيون في القطاع والوالي المساعد لمدينة انواكشوط، وعمدة العاصمة المساعد وحاكم مقاطعة الكصر. كماحضر مراسيم الحفل ممثلون عن المراكز الثقافية العربية في نواكشوط ومجموعة كبيرة من العلماء الأجلاء وأيمة المساجد والمحاظر، ونخبة من أساتذة الجامعة والمعاهد العليا ورجالات الأدب والفكر والثقافة، وممثلو الصحافة الرسمية والحرة، بالإضافة إلي جمع غفير من المهتمين بمختلف المجالات الثقافية.

وقد تميز الحفل بقيام معالي الوزير محاطا بالسيد أحمد محمد عبد العزيز ممثل صاحب الوقف، وكبار الشخصيات، بقطع الشريط الرمزي إيذانا بانطلاق هذا المشروع الثقافي الهام. وفي كلمة له بالمناسبة أبرز مدير الأوقاف بوزارة الثقافة والتوجيه الإسلامي السيد سيدي محمد ولد سيدي جعفر العناية التي توليها الحكومة لمثل هذا الأنجاز الهام ولنشر المعرفة والعلم بصفة عامة، وقال: «إن إشرافكم سيادة الوزير

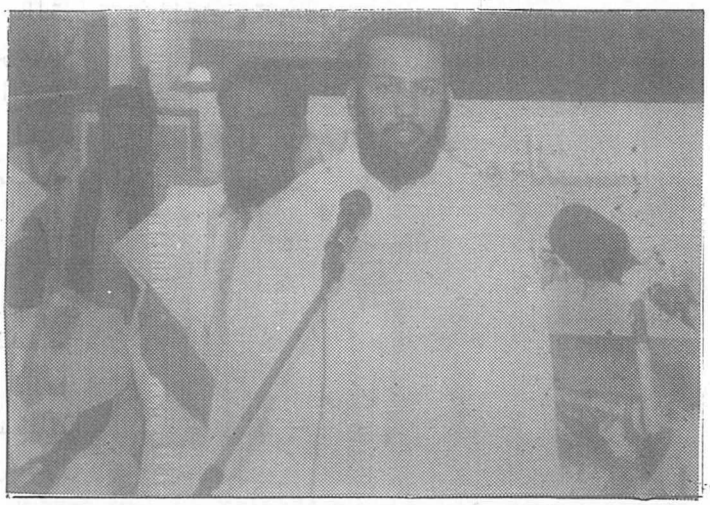

وحضور جهابذة العلماء لتدشين مكتبة العرفان الوقفية الإسلامية ليمثل أصدق تعبير عن حرص فخامة رئيس الجمهورية السيد معاوية ولد سيدي أحمد الطايع علي نشر العلم والمعرفة وتعزيز الأصالة والإشعاع الثقافي لهذا البلد الذي تميز عبر التاريخ بعلمائه الأجلاء ودعاة الأسلام الذين انتشروا في أرجاء المعمورة.. ويجسد اليوم هذا المسعي الحميد فضيلة الشيخ أحمد محمد عبد العزيز الشنقيطي جزاه الله خيرا علي وقف هذه المكتبة الكبيرة»، ثم نوه بالمساعدات والتسهيلات التي منحتها الدولة دعما لهذه الجهود الخيرة وأمثالها من المبادرات التي تخدم الأسلام والأوقاف وتنشر المعرفة والعلم.

كما ألقي فضيلة الشيخ محمد سالم ولد عبد الودود رئيس المجلس الأسلامي الأعلي كلمة ذكر فيها بالجهود التي مافتئ رئيس الجمهورية السيد معاوية ولد سيدي أحمد الطايع يوليها للعلم والعلماء ولنشر الثقافة في ربوع البلاد كما ثمن هذا الأنجاز الثقافي العظيم وثني علي الجهود الخيرة التي قام بها صاحب الوقف السيد أحمد محمد عبد العزيز الشنقيطي.

ونيابة عن صاحب الوقف ألقي ابنه الشيخ أحمد محمد عبد العزيز كلمة أشاد فيها بالعناية التي حظي بها هذا المشروع من قبل فخامة رئيس الجمهورية حين قال: «وماكان إنجاز هذا المشروع ليتحقق لولا فضل الله والرعاية السامية التي تفضل بها فخامة رئيس الجمهورية السيد معاوية ولد سيدي أحمد الطايع.»

كما أشاد بجهود قطاع الوصاية قائلا:« وإن جهودكم يامعالي الوزير وعناية مصالحكم المختصة التي كانت لها أياد بيضاء علي هذا المشروع لتستحق منا كل شكر وصادق العرفان بالجميل، وكلنا ثقة أن الدولة ماضية في تلك الجهود سعيا إلي ضمان استمرار هذا العمل وتطوره.»

كما أسد جزيل الشكر لكل يد صناع مدت أنامل العون وبسطت كف المعروف.

وعرف صاحب الوقف بالمكتبة قائلا: «إن هذا المشروع الذي تدشنونه اليوم معالي الوزير كلف إجمالا مايزيد علي 20 مليون أوقية بناية وتجهيزا وتأثيثا فضلا عن النفقات الجارية، وتحوي هذه المكتبة أكثر من 5000 عنوان من عيون التراث ونفائس الكتب التي لاتقدر بثمن، وقد وزعت مكتبة العرفان مجانا مايزيد علي 6000 آلاف مجلد من تفسير القرطبي وكتاب فتح الباري علي 150 محظرة ومسجدا و250 شخصية علمية في مختلف أنحاء الوطن».

وقد أشفع هذا الحفل بندوة شعرية أججت قرائح الشعراء بالعاطفة الجياشة والخيال الخصيب والتعبير الأصيل عن الإنجاز العلمي الكبير، والفكرة الرائدة التي جسدها فضيلة الشيخ أحمد محمد عبد العزيز بإنجاز هذه المكتبة.

تقرير: ابراهيم فال ولد أحمد

الموكب الثقافي

مجلة شهرية تربوية ثقافية علمية
تصدر عن اللجنة الوطنية الموريتانية
للتربية والثقافة والعلوم
العنوان:
الحي ف
هاتف 54805 - فاكس: 52802
انواكشوط - موريتانيا

مجرد رأي

الأستاذ: سيدي
محمد ولد ختاري

الشمس في كبد السماء الصحو.
الواحد نصف الإثنين.
الماء مصدر الحياة.

**

بدهيات أقرب إلي عقولنا من أية برهنة.
ولذلك ندركها وكأننا لاندركها،
لأنها أقرب إلي إدراكنا منه لنفسه،
فهي من وعينا بمثابة الحاجب للعين.

**

كذلك فإن أسباب النهضة إطلاقا،
قامت هي الأخري علي بدهيات:
- تحرير الفكر من كل مايقيده في بحثه الدؤوب عن إدراك أسرار الوجود.
-تحرير الفكر من كل مايقيده عن إدراك العلاقة ظاهرة أوأكثر من ظواهر الطبيعة.
-تحرير الفكر من أجل إدراك ذاته بما تتضمنه من أبعاد.

**

تلك أسباب نهوض الأمم،
وأية أمة ترفضها، فإنها كمن يرفض جرعة دواء من المؤكد ألاشفاء إلابها،
ليبقي عليلا.

بسم الله الرحمن الرحيم

قسيمة اشتراك

الموكب الثقافي

الإسم : _____

اللقب : _____

أرغب في الإشتراك في مجلتكم بـ: _____
نسخة ، لمدة : _____ تصلني المجلة على
العنوان التالي : _____
_____

قصيدة :

الشعر والضاد والأشبال*

شعر: أحمدُ ولد عبد القادر

هو العمر يابي أي يدوم بلا مـــــر
كما الشعر يابي أن يكون سوي الشعر
يزهو نسيم الروض طيبا ونفـــحة
إذا أطلع الأزهر من منبت الزهـــر
ولا تظهر الأكوان للقلب ســـــرها
إذا هو لم يلبس غشاء من البـــصر

هي الضاد نهر اس الصحاري وعـزها
وبر عمها الفواحها لعنبر البـــكر
فكم قوزحت بين الجمرات وهيـــها
وكم شعشعت بدرا تبسم عن بـــدر

هي الضاد تنقيط القديمة فاسطعوا
بها كي يظل الدهر في مسلك الـدهر
يقولون إن الموج يغزل حلمـــه
ليغرق وجه الأرض في ظلم العصـر

نعم أيها الأشبال للبحر صـــولة
وللنهر زخات تفيض عن النـــهر
ولا خوف ما دام اليراع لـــديكم
يمج رضاب النحل من ألوى الصـبر
هناك نشيد الكون حرف مـــجنع
بنغم علي نغم ووتر علي وتـــر

فلا تكتبوا شعرا بغير قضـــية
ولا تفتحوا للشـــعر نافذة (القسر)

نواكشوط 20 اكتوبر 1995

* ألقيت هذه القصيدة في برنامج «مواكب الشعراء» الذي نظمته التلفزة الوطنية وسجلته في شهر اكتوبر الماضي، وبثته بمناسبة الذكري 35 لعيد الإستقلال الوطني، وكان افتتاح الإلقاء الشعري بهذه القصيدة.

Discours de la clôture du colloque de Chinguitti

Par Mr.Ahmed Hamed O/ Hemdeït
Secretaire Général du ministère de la culture et de l'orientaion islamique

Monsieur le Hakem de la Moughataa de Chinguitti

Messieurs les élus

Monsieur Attilo Gaudio Secrétaire Général du CIRSS

Monsieur le Directeur de l'Institut Mauritanien de Recherche Scientifique

Mesdames, Messieurs

Après trois jours de travail continu, au cours desquels vous avez présenté des exposés d'une extrême richesse et échangé vos points de vue, vous avez, de façon évidente, contribué, à élaircir plusieurs aspects de l'histoire des villes anciennes de Mauritanie, aspects qui étaient jusque-là ignorer, et des rôles que ces villes ont joué tout au long de leur passé.

De vos débâts est sortie une serie de propositions qui répondent aux préoccupations de son Excellence Monsieur Maaouiya Ould Sidi Ahmed Taya, Président de la République puisque ces propositions visent la sensibilisation sur l'importance du patrimoine de ces villes et sur les meilleurs moyens de le préserver et de le faire connaître.

J'insiste particulièrement sur le fait que vos recommandations seront examinées avec intérêt par le ministère comme cela a été clairement exprimé par Monsieur le Ministre de la Culture et de l'Orientation Islamique, lors de son discours d'ouverture.

Je rermercie tous les participants, nationaux et étrangers, pour leur contributions inestimable à la réussite du colloque et je leur souhaite bon retour dans leur pays frères et amis.

Je remercie tous ceux qui ont contribué, de près ou de loin, à la réussite de ce colloque, et en particulier les autorités administratives de la Wilaya et de la Moughataa.

Je remercie , particulièrement aussi, Monsieur Mohamedou Ould Ebnou, Maire de Chinguitti de l'effort considérable qu'ils ont consenti pour la réussite de cette noble mission.

Je déclare clos le colloque. Je vous remercie

religieux et littéraire voient le jour. Chaque année on assiste au moins à un festival du cinéma africain et même les villes et les centres les plus petits organisent des débats sur l'Islam.

Mais in ne faut pas se cacher que cette popularité et cette publicité soudaines ne sont pas toujours positives. Ce sont les aspects les plus événementiels et choquants qui sont les plus médiatisés.

En effet, d'un coté les événements internationaux, de l'autre les problèmes liés à l'installation trop rapide de quelque centaine de milliers de ressortissants arabo-africains dans un pays qui n'était pas préparé à les accueillir, jouent dans ce sens et peuvent aboutir à des réactions de malaise et de refus.

Dans ce contexte, un échange culturel stable et sérieux avec des pays afro-musulmans, qui ne soit pas baisé par la politique événementielle ni par des informations folkloriques trop vite assemblées, devient crucial pour rééquilibrer la balance. Ne pas relever ce défi, ne pas répondre à cette demande d'information, peut impliquer de laisser la place à la formation de stéréotypes négatifs, trop vite assumés.

Deux aspects surtout méritent notre attention et rendent la collaboration entre Italie et pays arabo-africains utile et même nécessaire:

1) Tout d'abord, comme partout dans le monde, en Italie aussi le processus de modernisation entraîne certains aspects négatifs, surtout au plan des relations humaine et du maintien de certains valeurs fondamentaux. Ainsi certains regardent à l'Afrique comme à un continent ou -je cite- "on garde vivante la mémoire et le sens des relations sociales humaines, du point de vue historique et aussi pratique" (de Bernart, 1995).

On cherche dont ailleurs un élément culturel et social, des rapports interhumains qu'on considère perdu chez soi. Une sorte de quête de l'authenticité", par rapport à la perte de valeur de la société consumériste.

2) Ensuite, il ne faut pas ignorer qu'en Europe, et en Italie aussi, l'Islam est de plus en plus perçu comme une menace. Avant tout comme une menace extérieure, mais depuis quelque temps aussi comme une menace intérieure. Cela est certainement du aux événements internationaux (Iran, Algérie et tout récemment France) mais aussi au type d'information fourni par les média.

Malgré cela les éléments les plus équilibrés de la société italienne regardent avec intérêt et aussi avec espoir aux aspects les plus profonds de cette religion.qui tire son nom de la même racine du mot "paix" et à ceux parmi les musulmans qu'y si réfèrent. D'où le grand intérêt qu'on remarque partout en Europe et en Italie vis-à-vis des mouvements mystiques et confréries, dont quelques uns sont déjà présents sur notre territoire.

De ce qu'on vient de dire il ressort:

a) un intérêt pour les traditions et les cultures des pays arabo-africains.

Comme on a déjà eu l'occasion de le remarquer, il existe en Italie une tradition d'études arabes et islamiques qui ne demande qu'à être réanimée.

Alors qu'il y a deux Universités -Naples et Venise- qui fournissent un cursus scolaire de langue, histoire et littérature arabe, en beaucoup d'autres universités on trouve de cours de langue arabe. Partout le nombre d'inscrits aux cours d'arabe est en train d'augmenter.

b) un intérêt pour la préservation des cultures non-européenne et de ces aspects de leur patrimoine culturel qui peuvent être considérés comme patrimoine de tous les hommes.

Dans notre époque, la mondialisation de l'économie rapprochés, posent la question de l'identité n'est plus quelques choses d'escompté et d'évident de par soi-même, mais parfois à défendre. De l'autre coté, les acquisitions les hautes du patrimoine culturel d'un peuple ne sont plus considérées seulement à lui mais comme appartenant à toute l'humanité.

c) Tout récemment, un intérêt pour la tradition islamique liée au soufisme et aux turuq, en tant que mouvement mystiques muet en tant que "voies douces" à la compression de l'islam.

Pour conclure, je pense que des bons éléments existent pour initier une collaboration culturelle fructueuse.

Historiquement entre Mauritanie et Italie il n'y a jamais eu des relations privilégiées, mais cela peut se révéler un avantage parce que les relations qu'on pourra établir ne risquent pas d'être biaisées ou compromises par le passé.

LES ETUDES ARABO-ISLAMIQUES EN ITALIE: NOUVELLES PERSPECTIVES

Ottavia Schimdt di Friedberg
-Université de Trieste-

Malgré sa position géographique favorable, projetée dans la Méditerranée, ouverte aux influences africaines et moyen-orientales, dans son histoire récente, l'Italie a dédié très peu d'attention et très peu de ressources à la connaissance de ses voisins du Sud et de l'Est.

Au contraire, dans le passé il n'a pas été toujours ainsi. L'Italie était bien consciente de ses deux âmes - européenne et méditerranéenne- et a su entretenir des liens culturels aussi bien avec l'Europe qu'avec le Monde arabe.

Pour ne pas remonter trop loin dans le passé et pour se limiter à l'époque contemporaine (fin du XIX et début du XX siècle), il suffit de rappeler la tradition des études arabes et islamiques liée à la revue Oriente Moderno et les noms d'intellectuels arabisants italiens tels que Nallino, Amari, Santillana, Caetani, Gabrieli, ecc.

Mais dans l'après-guerre, l'Italie a concentré tous ses efforts à se confronter avec ses partenaires européens, en cherchant à combler le gap en termes de développement qui la séparait de l'Europe du Nord. Ainsi, elle a oublié une partie de soi-même -sa vocation méditerranéenne- limitant l'échange culturel au seul Monde occidental. Accablé par d'autres questions prioritaires, elle s'est révélée passive, voir presque sourde à tout appel à l'ouverture vis-à-vis des pays de l'Afrique et du Moyen-Orient.

Alors que les échanges culturels avec le Nord s'intensifiaient (apprentissage de l'anglais et du français à l'école), avec le Sud ils étaient quasiment absents et les études arabes traînaient le pas. A l'exception de quelque spécialiste, les cultures africaines, arabes et musulmanes y étaient méconnue et elles le sont encore aujourd'hui.

Mais à partir des années soixante-dix, deux facteurs ont contribué à faire sortir l'Italie de cette impasse et à la stimuler à chercher de mettre fin à ce manque.

Le premier facteur est l'immigration en Italie de ressortissants des pays arabes et africains. Aujourd'hui environ 200.000 Arabes résident en Italie, alors que les ressortissants africains) Arabes et autres) sont environ 290.000. Il s'agit avant tout de travailleurs, souvent très peu scolarisés, mais leur présence dans les villes et les villages a stimulé la population à se poser des question sur leurs cultures d'origine.

L'autre aspect -lié au premier- est l'installation de l'Islam en territoire italien. Il s'agit d'un facteur tout à fait nouveau, au moins dans l'époque moderne, faute de remonter très loin, au temps de la Sicile arabe.

Il y a une dizaine d'année encore considéré comme une religion "extérieure", aujourd'hui l'Islam ne l'est plus. Il est devenu la deuxième religion de l'Italie: en témoignent les environ 400.000 musulmans en Italie, le batissement et l'inauguration récente (Juin 1995) de la grande mosquée de Rome, la présence sur le territoire italien de quelque centaine de salles de prière et de quelque millier de convertis.

Cette présence a obligé l'Italie à se poser la question de l'interculturalité et des rapports avec des cultures si proches et si différentes.

L'arrivée d'immigrés africains et arabes et des musulmans en Italie a fait surgir une forte demande d'information sur le monde arabe, africain et islamique, demande que jusqu'à aujourd'hui n'a pas été comblée que de façon très sporadique et superficielle. Cette demande ne concerne pas seulement le niveau intellectuel mais aussi la population italienne à tous ses niveaux (associations catholiques, syndicats, presse, écoles secondaires et primaires, cinémas, etc.). Toute initiative visant à combler le vide d'informations et de connaissance est donc le bienvenu.

Des traductions de plus en plus nombreuses d'ouvrages sur le monde arabe et islamique, à caractère historique,

les rapports entre des groupes différents comme les nomades et le sédentaire , en les intégrant dans un paysage anthropique et social où il serait parfois difficile de distinguer ce qui revient à la civilisation du désert (pour reprendre une expression de Robert Montagne) et ce qui revient aux cultures sédentaires à base surtout agricole.

Mais le regard des ethnologues a privilégié d'avantage les différences que les ressemblances et les facteurs d'intégration; réelles ou potentiels entre les communautés locales. Et comme beaucoup d'historiens, ils ne sont pour longtemps contentés de pureté et d'énergies nouvelles. Certes, anthropologues et historiens européens étaient fascinés par cette image des tribus nomades qui, en sortant du désert se lançaient à la conquête de territoires immenses, et pour cause, vue la montée irrésistible des Almoravides qui arrivèrent a conquérir le Maroc et une grande partie de l'Espagne.

L'attention accordée aux différences (qui existent bien sûr) et aux modèles, a figé la réalité entre des schémas rigides qui nous font souvent oublier que la vie de ces régions est caractérisée par des échanges, en hommes et en biens, entre secteurs différents de la production , et que cette tendance a toujours marqué une bonne partie de la vie économique et social locale, où les gens du désert et celles des oasis et du fleuve se rencontrent.

Toujours dans but de protéger ces sociétés de l'action des forces disgrégatrices, les anthropologues ont souvent participé à des projets de développement qui, en ce qui concerne les nomades de la zone aride, ont fait grand feu surtout entre les années 1950 et 80 (et auxquèls j'ai participé moi même). Même si depuis plusieurs années l'anthropologie du développement, comme on appelle cette branche de l'anthropologie appliquée, a procédé à une révision critique des ses conceptions de base, en essayant de prendre en considération le point de vue- et donc les intérêts des sociétés directement concernées. Pendant mon séjour au Moyen Orient dans le cadre d'un de ces projets j'ai pu constater que nous anthropologues avons été très souvent soumis aux pressions -pas nécessairement toujours explicites- des commentants qui essayaient d'orienter le regard et les conclusions de nos enquêtes en matière de développement.

Il était pratiquement interdit de parler de perte de cohésion sociale à l'intérieur du groupe nomade; il fallait plutôt éloger les bienfaits de l'intervention du gouvernement dans la gestion des espaces pastoraux même si ces interventions s'étaient révélées catastrophiques sur le plan social et pour l'économie même si ce progrès ne correspondait pas aux désirs des gens concernés et même si, quand elle avait succès, la sédentarisation entraînait des problèmes de stratification tout à fait inconnus par des groupes largement égalitaires. De plus, qu'est ce que était ce progrès? (ou ce développement?).

C'était, on s'en rendait pleinement compte, de la conception même de progrès que les gouvernements de ces régions avaient repris dés milieux européens et américains. une conception que, comme on le sait bien, est attentive surtout aux aspects techno-économiques mais qui en laisse de coté beaucoup d'autres.

J'avais dit plus haut que l'anthropologie se trouve souvent dans une impasse, qui consiste à insister sur les différences pour essayer de sauvegarder l'existence des sociétés qu'elle étudie d'un coté, et de devoir accepter le fait que ces sociétés sont partie de réalités sociales et économiques plus vastes de l'autre. Maintenant je dis que l'anthropologie se trouve entre le marteau et l'enclume; car si elle prends en considération le point de vue des intéressés en matière de développement, risque de se faire accuser de "conservatisme" étant donné que, par réaction ,elle finit pour réaffirmer la particularité et l'irréductibilité des identités sociales. Tandis que , si l'anthropologie quitte cette attitude pour devenir savoir appliquée, elle risque de plier son inspiration primordiale -qui consiste à définir l'identité culturelle des sociétés- à des principes qui ne sont pas les siens et qui -par comble de l'ironie- son une version de l'idée de progrès et de développement élaboré par la culture dont l'anthropologie même est l'une des expressions.

puissances coloniales.

Or, combien d'Etats du Moyen Orient et d'Afrique envisagent la "question nomade" comme "problème "?

Certes, il y a des différences très grandes entre la condition des nomades "citoyens" d'une puissance pétrolière et celle des nomades appartenants à un Etat déporvu d'une pareille richesse; de la même façon qu'il peut y avoir une différence considérable entre la condition des pasteurs des Pays dont les dirigeants sont issus du milieu nomade et ceux qui ne le sont pas.

il ne reste pas moins, hélas, que " la nature même du pastoralisme qui se caractérise par un élevage extensif ne souffre pas de se laisser enfermer à l'intérieur de frontières artificielles dont les tracés sont le plus souvent arbitraires, voire surréalistes" (A.Bourgeot, sociétés touarégues, Kart hala, paris 1994, p.464) ce que dont le nomadisme s'adapte mal à cette réalité.

Il y a eu une époque où les "experts" internationaux-le plus souvent européens et américaines mais aussi des experts ressortissants des pays intéressés par le phénomène nomade -voyaient dans la sédentarisation la "solution" au "problèmes"- comme on les appelait - posés par le nomadisme pastoral. Au même temps les anthropologues, qui comme tout le monde le sait nourrissent des sentiments de sympathie pour les populations qu'ils étudient, proclamaient la nécessité de défendre ces populations des changements , souvent ravageurs qui s'abattent sur leur existences, de plus en plus précaire dans la mesure où leur modèle de vie ne se conforme pas aux exigences des bureaucraties étatiques et du marché internationale du bétail. En tant qu'anthropologue je me sens de partager les sentiments de ces collègues, mais pas jusqu'au point d'oublier les limites qui se cachent dans les analyses de l'anthropologie en matière de différence: limites qui sont de deux sortes, théoriques et pratiques.

Les limites théoriques consistent à "exagérer" la particularité des sociétés prises en considération par les chercheurs, soucieux d'établir la différence de chacune par rapport à d'autres. Ainsi faisant, l'analyse gagne parfois au niveau du détail, mais perds sur le plan de la connaissance des réseaux complexes d'ordre social; économique et culturel dans lesquels ces sociétés sont plongées.

Quant aux limites d'ordre pratique , ceux-ci relèvent essentiellement de la distance qui sépare les analyses des anthropologues de la nécessite de "faire quelque chose" pour que ces sociétés ne disparaissent pas. La distance entre les analyses anthropologiques -qui sont à même d'esquisser les traits de ces sociétés de façon minutieuse et approfondie, et la réalité, se traduit assez souvent dans un état d'impuissance auquel on essaye de se soustraire en affirmant la nécessite de préserver ces sociétés des changements (jugés désastreux) qui les affectent , une attitude qui risque le plus souvent de porter à une idéalisation de ces sociétés d'un coté et à l'inaction totale de l'autre (et donc à favoriser leur destruction).

En fait, l'anthropologie semble être parfois dans une impasse: car si elle se propose de protéger ces sociétés par l'affirmation de leur différence par rapport à d'autres, elle encourage une image reductive de l'identité, comme si cette identité était figée dans un cadre fixe d'éléments culturels mais qui en effet , comme le savent bien les anthropologues eux-mêmes sont choisis en fonction de l'identité qu'on veut construire; tandis que si l'anthropologie veut s'engager dans la sauvegarde de ces sociétés elle doit renoncer une fois pour toutes à l'idée d'une identité inaltérable, et accepter le fait que ces sociétés font partie de réalités sociales et économiques plus vastes.

C'est aussi dans ce sens que le regard anthropologique sur ces sociétés n'a jamais été vraiment neutre, mais parfois plus ou moins directement complice de celui de l'administration. En nous référant au cas de l'ouest de l'Afrique , nous pouvons constater qu'il s'agit d'une aire très composée sur le plan des formes d'adaptation, sur le plan linguistique, culturel et ethnique, une aire d'une telle complexité devant laquelle les différences entre les peuples européens palissent . Mais il s'agit aussi d'une aire où, au long de l'histoire, le mouvement des populations a marqué de façon profonde

Constructions identitaires:

Avantages et limites de la perspective anthropologique dans l'analyse de la réalité des nomades sahariens.

par: Ugo Fabietti
(Université de Florence, Istituto di Geografia, via S. Gallo, 10 50100 Firenz, Italia)

Je sais bien que, en abordant un thème comme celui des constructions identitaires, je risque de toucher à un argument délicat. Cet argument -la construction de l'identité- a d'ailleurs fait l'objet de l'anthropologie depuis son essor. Je ne veux pas dire par là que ethnologues et anthropologues se soient adonné de façon consciente à la construction d'identités artificielles. Mais plutôt que leur pratique de recherche, visant à déterminer les différences entre culture et leur autonomie respective (contre l'image évolutionniste qui faisait des autres des sauvages, des primitifs, et de barbares) a contribué à la construction de certains identités. Et ces identités construites par les anthropologues (parfois avec la complaisance de l'administration coloniale qu'y voyait un avantage pratique-divide et impera) ont été souvent héritées par les peuples qui se sont rendus indépendants avec la décolonisation.

Je ne suis pas spécialiste du monde saharien, ni par conséquent de la Mauritanie -que je visite pour la première fois dans ma vie- mais j'ai une certaine expérience du nomadisme en zone aride, et plus précisément au Machreck-e dans la Giazirat al Arab (le proche orient et la pensinsule arabique comme nous les Européens appelons ces régions) pour savoir que l'histoire des identités a été toujours marquée (et non seulement ici d'ailleurs) par des rapports entre population mains dont la différence n'était pas aussi grande comme on nous a voulu souvent le faire croire, en s'agissant d'une différence qui était et est plutôt de nature complémentaire, comme par exemple celle entre bedu et hadar, nomades et sédentaires.

L'insertion dans la structure des états modernes du nomadisme pastoral en tant que mode d'adaptation à des milieux arides, a provoqué un bouleversement remarquable, et parfois complet, des conditions de vie des groupes qui tirent de cette activité une partie considérable (voire vitale) des moyens et leur existence. Cette insertion dans les structures de l'Etat moderne s'est d'abord vérifiée avec l'instauration du pouvoir colonial, fait qui a souvent bloqué la dynamique interne de ces sociétés par des nouvelles avec activités économiques et par la transformation des droits sur le pâturage et les aires de parcours. Le colonialisme a entraîné la déstructuration des rapports de pouvoir caractéristiques de ces sociétés, ou en les transformant de façon complète, ou en rafforçant la place de ceux qui le gardaient déjà. La présence coloniale a altéré les rapports de force inter ethniques entre sociétés nomades elles-mêmes ou entre celles-ci et les société d'agriculteurs. De plus, les frontières tracés par la colonisation ont entraîné des restrictions dans les mouvements des groupes nomades, un facteur responsable, lui aussi, de beaucoup de changements au sein de ces sociétés.

Dans l'ensemble, les sociétés nomades ont connu , un peu partout en zone aride, un processus de marginalisation et d'appauvrissement qui n dés l'époque coloniale, n'a cessé de s'arrêter.

Parmi les effets du regard anthropologique porté sur la différence plutôt que sur les ressemblances, il y a sûrement celui de soumettre à l'attention des organismes internationaux la question de groupes ethniques minoritaires, mais ces organisateurs rarement prennent en compte les communautés nomades. Ceux-ci sont en fait, dans la part des cas; des groupes transnationaux; tandis que l'attitude des ces organismes a consisté à se concentrer sur les minorités qui font partie des Etats particuliers, et non pas sur les groupes qui en traversent les frontières tracées par les

universités(Dakar, Lyon, Paris, Lille). Ces fouilles, menées dans un premier temps à partir de Dakar, furent continuées par l'IMRS. Leur diection scientifique éatit assurée par J. Devisse, D. et S. Robert. La fouille systématique de plusieurs secteurs de la ville a permis de mettre au jour une masse considérable de matériel archéologique et de retracer les grandes lignes de l'histoire du site. Ainsi, plusieurs niveau d'occupation, correspondant aux phases successives d'urbanisation du site situent son hisoire entre le 8e et le 18e siècle, avec une période d'expansion maximale et de grande prospérité située en gros au 9e/10e siècles. L'abondance et la diversité de la production locale et celle des objets importés du Mahgrb et de l'Espagne confirment nettement qu'il s'agit, de façon quasi-certaine, du site d'Awdaghost, la ville caravanière décrite par les auteurs arabes du Moyen-Age (Al Bekri, Al Idrissi etc.) Les résultats de ces fouilles ont donné, entre autres une serie de publications8

2. Le site de Koumbi Saleh.

Les ruines de Koumbi Saleh sont situées dans le Hodh el Gharbi(65 km au sud de Timbédra). Le site, reconnu dans les années 1920 a fait l'objet de fouilles moins étendues que celles de Tegdaoust mais aussi instructives.

Les sondages ouverts en 1952 par Mauny et Tomassey ont revelé l'importance du Tell tant au niveau de la durée d'occupation du site qu'à celui des éléments architecturaux.

Des fouilles plus récentes ont revelé des niveaux inférieurs à ceux atteint en 1952.

Bien que les parties fouillées restent modestes par rapport à l'ensemble du Tell, il est maintenant consdéré comme acquis que Koumbi Saleh est la plus imprtante des villes de l'ancien empire de Ghana.

3. Le site d'Azougui.

Le site d'Azougui près d'Atar est reconnu comme étant celui d'une ville almoravide possédant une place fortifiée. Il n'a pas encore fait l'objet de fouilles systématiques. Seuls quelques sondages ont été pratiqués en 1980 et 1981. On y ditingue quatre niveaux d'occupation dont les deux premiers, datés entre le 10e et 12e siècles ont livrés des objets revélateur d'échanges avec le Maghreb et le bassin occidental de la Méditrranée.

Au terme de ce survol rapide des rcherches archéologiques en Mauritanie, on se rend compte que des chose ont été faites mais que beaucoup reste à faire. Le renouvellement de la recherche archéologique ici passe passe , passe, à notre avis, par une triple-ouverture de cette recherche. Elle doit d'abord s'ouvrire sur les institutions de formation, en l'occurence l'Université; ensuite en direction d'un partenariat efficace et contrôlable; enfin sur le public, à travers la promtion des musées.

taires, limités à des galets juste cassés pour obtenir une arête. Cette industrie, peu représentée a dû évolué rapidement, avec l'apparition d'outil miex pensés et plus performants (biface, hachereaux); leur abondance (Adrar) atteste de la durée de l'Acheuléen et de sa diversité. Datée ici de 200 000 BP, l'Acheuléen se rencontre sur de vastes gisements (Tiris, Adrar, Tagant, Dhar Tichitt-Walata).

- Un paléolithique moyen. Peu représentée(?) jusqu'à présent, cette phase fait la trasition avec le paléolithique récent.

- Un paléolithique récent. Il correspond à l'Atérien. Cette technique connaît une véritable explosion vers 25 000 BP. Le pédoncule, la diversité des outils et des matériaux caracterisent cette période. La limite méridionale de l'Atérien se situe à peu près au 20° N.

- Une évolution des technique de taille (?) constatée dans plusieurs gisements permet de parler d'un épipaléolthique vers 10 000 BP. C'est une phase ultime avant le passage au néolithique.

2. Le néolithique.

Au vu des datations dispnibles actuellement, le néolithique en Mauritanie s'étale entre 8 000 et 1 000 BP. Il a dû se prolonger dans les temps historiques selon des modalités qui restent à éclaircir.

Là aussi quelques sites ont fait l'objet d'études relativement approfondies (Lazrag, Khat Lemaïteg, Akrejit (Monoville). Certaines régions s'individulisent(Adrar, Littoral, Tichitt).

Les sujets abordés couvrent un larges évantail de thèmes (Industries lithiques, céramiques, activités économiques, art rupestre, mouments funéraires etc.)

L'ensemble "urbain" d'Akrejit se situe en fait au centre d'une aire plus étndue qui se prolnge à l'Est comme à l'Ouest 7 . Par son ampleur et sa richesse, cette région a fait progessé, de façon singificative, la connaissance du néolithique dans cette partie du Sahel.

Mais des lacunes demeurnt et notamment au sujet de l'agriculture(?) , ou encore du passage entre la culture de Tichitt et celle qui a bâti les grande cités du Sahel mauritanien(Tegdoust, Koumbi Sleh).

3. Les problèmes de périodisation.

L'obtention de quelques datations au C14, conjuguée avec les conclusions tirées de l'étude des paléoclimats, ont permis de situer approximativement les séquences préhistoriques de grande occupation humaine. Mais une chroonolgie plus affinée fait encore défaut. De même, la diversté régionale, voire ethnique. Demeure insuffsamment mise en lumière.

Pour le moment, l'absence d'une stratgraphie édifiante constue pour les préhistoriens de la Mauritanie une source de grande frustration .

C. L'Archélogie médiévale.

Les enquêtes et les prospections sur le terrains, ajoutées à l'étude des textes anciens des auteurs arabes ont permis d'identifier des sites médiévaux.

1. Le site de Tgdaoust

Il est situé dans le massif du Rkiz (Sud-Ouest de l'Aouker), à 50 km au nord-Est de la localté de Tamcheket (Hodh El Gharbi).

Les recherches sur ce site s'échelonnent sur une quinzaine d'années(1960-1976). Les fouilles ont vu la participation d'équipes appartenant à plusieurs

en récoltant du matériel . Ses missions continuent en1953, 54, 57, et 60 et depuis il n'a jamais rompu avec la Mauritanie qu'il visite presque annuellement .

- Raymond Mauny. Archéologue et préhistorien, Mauny commence à diriger des missions de recherche à partir de 1947, il visite un grand nombre de sites tant préhistorique que médiévaux et procède à des sondages à Koumbi SaleK.

- H.J. Hugot. Dans les années 1960 ce préhistorien du sahara anime des équipes qui vont travailler en Mauritanie. Le résultat le plus spectaculaire de leur recherche concerne l'immense agglomération préhistorique d'Akrejit près de Tichitt. Le sites baptisé "Monoville" recevra pendant une vingtaine d'années plusieurs équipes de chercheurs.

- L'Archéologie médiéval s'est intéressé , de façon inégale à trois sites : Tegdaoust, Koumbi Salek et Azougui et plus tardivement à la vallée du fleuve Sénégal. L'équipe de Jean Devise, Denise et Serge Robert a supervisé l'essentiel des travaux menés sur les deux sites sahéliens.

3. Quelques résultats.

Une foule considérable de documents écrits est maintenant disponible dans les archives de différents institutions de recherche (Musée de l'Homme à Paris, IFAN de Dakar, IMRS de Nouakchott). D'importantes collections d'objets archéologiques sont entreposés dans leurs réserves.

Notes de voyage, rapports de mission, et travaux universitaires en grande partie inédits ont été réalisés par dizaines. En outre il existe de nombreuses publications (notes, articles, livres) se rapportant à l'archéologie en Mauritanie.

En dépit de l'immensité du territoire mauritanien , de la faiblesse de densité de vastes secteurs de celui-ci et des difficultés d'accès et de séjour, l'esquise d'une carte archéologique approximative peut être désormais envisagée. Elle ne manquera pas sans doute de comporter des blancs et de reveler d'importantes disparitée entre les sites déjà étudiés; mais l'apport des nouvelles technologies (photos sattelites) conjugué avec une meilleure circulation de l'information entre l'archéologie et d'autres domaines comme la géologie , la géographie, l'hydrologie. Une telle carte faciliterait considérablement le travail des archéologues par la découverte de nouveaux sites et par une meilleure connaissance de ceux déjà connus.
L'interdisciplinarité est ici une exigence fondamentale.

Notons que les périodes couvertes par l'archéologie sont pour le moment la préhistoire et la période correspondant au Moyen- Age.

B. La Préhistoire

Les sites préhistoriques repertoriés en Mauritanie sont très nombreux. Ceux qui ont été étudiés - de façon inégale - ont relevé une impressionnante richesse mais aussi l'ampleur des problèmes méthodologique qu'il faut chercher à résoudre.

1. Le Paléolithique

L'ancienneté de la présence humaine sur l'actuel territoire de la Mauritanie est attesté par l'abondance d'une industrie paléolithique variée.

Robert Vernet6 propose un essai de périodisation du péléolithique saharien dans sa partie mauritanienne. IL y distingue:

- Un paléolithique ancien (700 000 BP), avec des outils assez rudimen-

Baouba Ould Mohamed Naffé
Université de Nouakchtt.

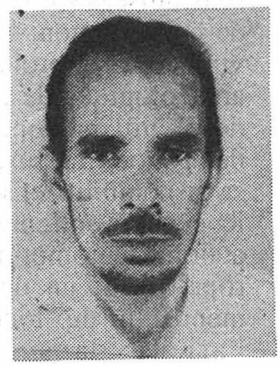

HISTORIQUE DES RECHERCHES ARCHEOLOGIQUES EN MAURITANIE

Vers 1836, Taleb Ahmed Ould Toueir El Jenné note l'abondance de la céramique cassée le long du trajet Tombouctou- Tichitt- Ouadane1 . Au début des années 1820 Cheikh Sidiya Baba évoque l'abondance des sites d'habitats anciens et des poteries cassés ou entières dans le pays maure2 . Ses deux illustres erudits de Bilad Chinguitt n'etaient pas des archéologues mais la valeur scientifique de l'objet archéologique ne leur échappait guère. En fait l'intérêt pour les témoins archéologiques en Mauritanie a commencé à se préciser dès les premières décennies du 20e siècle. Au fur et à mesure qu'officiers et administrateurs coloniaux parcouraient le pays ils signalaient l'existence de sites. Leurs découvertes ont conduit lentement à l'organisation d'une recherche plus systématique dont les résultats, aujourd'hui, bien que modestes, constituent un socle solide pour l'archéologique en Mauritanie.

A - Un démrrage timde.

1. Les précurseurs.

En 1912, le colonnel Roulet fut l'un des premiers à s'intéresser aux vestiges du pasé en Mauritanie. Il signale la richesse archéologique du Dhar Tichitt-Walata et mentionne de nombreux villages dans cette région.

La même année, la liaison Walata-Tichitt offre à l'administrateur Bonnel de Mezière l'occasion de découvrire d'autre témoins dont une station d'art rupestre.

En 1920, d'autre voyageurs comme le Dr Verneau, visitent cette région.

En 1934, Théodor Monod parcourt un secteur plus large(Adrar- Tgant-Hodh).

Odette du Puygaudeau et Marion Senones parcourent la falaise du Tagant, font des relevés et ramènent du matériel en1937.

L'année suivante, G. Waterlot entreprend une mission de prospection entre Tidjikja et Néma et récolte une collection d'objet paléolithiques.

En même temps que des voyageurs3 continuent de fournir des informations archéologiques précieuses et de recolter des objets, s'amoçait une rcherche organisée.

2. L'organisation de la recherche.

Les noms de quelques chercheurs sont étroitement associés à la mise en chantier d'une véritable recherche archéologique en Mauritanie, menée d'abord par les equipes de l'IFAN4 et ensuite par celle de l'IMRS5 .

- Théodore Monod. Arrivé en Mauritanie en 1922, ce savant entreprend des voyages scientifiques à partir de 1934, en répertoriant les sites et

sensibilisées sur le problème de conservation. Mme Bravin appuie le projet du parc archéologique de l'Adrar et de Tichitt préconisé par la délégation française et offre sa disponibilité et son expérience pour entreprendre une action de promotion en Europe visant un développement futur du tourisme saharien dans l'Adrar mauritanien et cela dans le cadre d'une législation adéquate de l'Etat mauritanien exigeant le respect des valeurs éthiques et morales de la société locale.

Mme Bravin souhaite par ailleurs la restauration de l'ancien fort de Chinguitti en collaboration avec les autorités de la ville.

- La délégation mauritanienne souhaite :

- une meilleure coordination avec l'Université de Nouakchott pour les questions relatives à la recherche archéologique

- la révision des textes relatifs à la protection du patrimoine et la revitalisation des mesures répressives à l'encontre des atteintes à ce patrimoine.

- le développement des Musées afin qu'ils jouent leur rôle en matière d'exposition et de recherche

- la création d'un centre de manuscrits dotés de moyens humains et techniques nécessaires à la collecte, la restauration et à la diffusion de ces manuscrits.

- la mise en place d'un système de partenariat local et international axé sur des projets précis, contrôlables et durables.

- la sensibilisation d'Agences de voyage et de tourisme sur l'importance du patrimoine culturel et sur la nécessité de lui accorder l'intérêt qu'il mérite, et ce à travers la formation de guides et chauffeurs qui soient conscients du danger que représentent certains touristes qui se livrent au commerce des objets.

- la recherche et recouvrement des manuscrits et des objets ayant quitté frauduleusement le pays .

***

- La Mauritanie souhaite que les ONG s'interessent davantage à l'agriculture et au cheptel des Oasis et qu'elles ciblent de plus en plus les régions du Sahel et du Sahara affectées par la désertification qui menace désormais l'ensemble de l'écosystème. L'existence même de ces populations est en danger autant que leurs villes. Et pour les mauritaniens sauver l'une et pas l'autre devient un contresens.

enfin le colloque tient à remercier vivement tout le personnel du Secrétariat et les traducteurs mis à sa disposition par le Ministère de la Culture et de l'Orientation Islamique et l'Institut Mauritanien de Recherche Scientifique ainsi que les chauffeurs et mécaniciens qui ont fait preuve de bravoure et de résistance exceptionnelles tout au long du trajet.

Il exprime également sa reconnaissance pour l'accueil chaleureux qui a été réservé aux participants sous les tentes(à Chinguitti, Ouadane et Azougui) par les autorités locales, civiles et militaires ainsi que par toutes les populations visitées.

l'organisation en Mars 1996 à Lanzarote un colloque sur la culture Bambara, Songhai et Touareg de la ville de Tombouctou. Le colloque accueille favorablement les propositions de Mr. Diaz d'envisager dans la maison de l'Afrique de Lanzarote une exposition photographique rétrospective des populations et des cultures du Sahara et du Maghreb berbère.

- Le colloque souligne l'importance des résultats présentés par Mmes Rosanna Ponti et Franca Persia (Italie) concernant une recherche de terrain sur le domaine de la rupestre préhistorique au Sahara Libyen et voit deux dimensions coordonnées: la scientifique et l'humaniste. C'est en effet grâce à ces deux chercheurs membres des missions archéologiques Italo-Libyennes dans le massif du Tadrart Acacus et de l'office National pour l'énergie, l'innovation et le milieu (ENEA de Rome) qu'on a pu pour la première fois séparer, identifier et dater les contenus organiques présents dans le lien qui a la tâche de maintenir accrochée la couleur sur la paroi rocheuse du site. Les deux universitaires italiennes ont présenté au colloque certaines experiences d'analyses de traitement de conservation.

- Mr. Robert VERNET (France) a expliqué les difficultés techniques pour reprendre les fouilles sur le site d'Azougui (capitale historique des Almoravides) et a suggéré la création en Mauritanie d'une commission de réflexion en vue d'un premier travail archéologique qui puisse déboucher sur une ouverture de chantier.

Cette initiative, qui a déjà obtenu une promesse de financement de la part du Gouvernement Espagnol, pourrait reprendre l'expérience positive des fouilles de Tegdaoust qui ont été en grande partie réalisées grâce au volontariat de nombreux chercheurs, étudiants et archéologues de divers pays y compris la RIM.

- Le colloque lance un appel au Gouvernement Marocain et en particulier aux Ministères de la Culture et celui du Tourisme en vue de créer un parc archéologique du Draa-Bani (incluant les stations rupestres, les sites archéologiques, les anciens Ksours abandonnés et les bibliothèques oubliées des Zaouiya) dans l'intérêt de la sauvegarde et de la mise en valeur du patrimoine des territoires du Sahara.

- Le colloque, sur la base de l'intervention de Mr. Attilio Gaudio (CIRSS, Paris) souhaite également que le Maroc envisage la publication en Afrique et en France d'un corpus des écrits du Cheikh Malainine actuellement éparpillés dans les diverses bibliothèques ainsi que la restauration intégrale de la Kasbah et de la mosquée de Malainine à Smara.

***

- La délégation Italienne propose de répertorier toutes les procédures de conservation et de restauration des anciens manuscrits du Sahara avec la formation de personnel local qui soit en mesure d'exécuter les tâches de restauration chimique et mécanique.

- L'Italie considère indispensable que la Mauritanie crée une direction centrale pour la restauration et la conservation afin qu'elle puisse coordonner avec d'autres structures similaires et qu'elle puisse effectuer conjointement avec des organisations compétentes et d'experts d'autres pays, qui soient disposés à aller sur place et à former des jeunes restaurateurs, des missions et des opérations allant dans ce sens.

- Le colloque attire l'attention sur l'importance de l'inventaire informatisé établi par l'IMRS et qui porte sur les travaux remarquables de l'archéologie en Mauritanie. Il recommande l'adoption d'un système identique ou similaire par d'autres instituts afin de faciliter les échanges d'information entre les chercheurs de la communauté internationale.

- Mme Alessandra BRAVIN (Maroc) seule spécialiste du tourisme culturel au Sahara invité au colloque a affirmé que l'immense patrimoine du Maroc est mal géré et mal compris, contrairement à la Mauritanie où les autorités et population locales sont

4) L'étude du projet du canal trans-saharien, évoqué lors du 6e colloque du CIRSS, devrait être lancé rapidement dès 1996.

-Mme Françoise DOUTREUWE (France) a rappelé aux participants que le jumelage entre la ville française de Saintes et celle de Tombouctou a déjà démontré qu'une petite association basée sur les liens d'amitié entre deux villes de la même importance peut réussir de maniére efficace la réalisation de nombreux projets.

-Mr. Famory KEITA (Mali) pour l'association "Sud-Arts et Cultures" qu'il préside à Bamako a présenté les recommandations suivantes :

1) - que le rayonnement de la culture islamique se réalise dans le respect de l'identité africaine ;

2) - de contribuer à la sauvegarde de l'esprit de tolérance qui a toujours caractérisé l'islam au Sud du Sahara;

3) de procéder à la collecte, l'inventaire et la traduction du plus grand nombre de manuscrits et des sources arabes concernant l'histoire de l'Islam en Afrique ;

4) donner l'importance qu'il sied aux sources de tradition orale africaine pour une meilleure relecture de l'histoire de l'Islam en Afrique ;

5) que l'enseignement islamique et les foyers culturels musulmans soient mis en harmonie avec les enjeux du développement du monde ;

6) de promouvoir des liens de collaboration entre chercheurs de part et d'autre du Sahara ;

7) - encourager la coopération universitaire en altière de recherche et d'enseignement;

8) - renforcer la coopération institutionnelle entre arabes et Africains ;

9)- institutionnaliser cette rencontre de Tombouctou en le centrant sur des thèmes sur l'islam ou tout autre thème intéressant la vie économique, sociale, scientifique et culturelle;

10) - transformer le Centre de Recherche et de Documentation Ahmed Baba, CDRAB, en Institut d'Enseignement et de Recherche pour le monde musulman;

11) - oeuvrer à la création d'une Université moderne SANKORE à Tombouctou;

12) - attribuer les noms de Mohamed BAKAYOGO, Abderrahmane Es-SADI et Mohamed Kati à des institutions régionales et nationales.

Mr. E. FASANA (Italie) en sa qualité de chargé de la chaire d'histoire et des institutions des pays africains et asiatique de l'Université de Trieste a déclaré avoir constitué un centre d'études composerais de l'Islam qui compte actuellement une dizaine de collaborateurs.

***

Ce centre s'intéresse à l'Islam dans toutes ses dimensions de l'Afrique de l'Ouest et du Maghreb jusqu'au subcontinent indien et indonésien. Il se consacre tout particulièrement aux relations entre groupes ethniques et sociaux et aux confréries religieuses face aux nouveaux changements socio-politiques.

- Le colloque félicite la délégation des îles Canaries pour l'oeuvre des recherches archéologiques, ethnographiques, préhistoriques, linguistiques, sociologiques, et pour les publications realisées en souhaitant qu'à l'avenir s'établissent des relations plus étroites entre le monde scientifique de l'archipel et celui des pays du Sahel et du Sahara.

- Le colloque exprime sa sympathie et son intérêt pour la "sociedad canaria de Africanistas" qui dams l'ile de Lanzarote a ouvert la première "Maison de l'Afrique". Il féliciter notamment Monsieur Manuel Gongalez Diaz président de ladite société et directeur du Musée crée au sein de la Maison d'Afrique pour avoir su intéresser aux canaries des spécialistes du Continent Africain avec pour premier résultat

SIXIEME COLLOQUE EURO-AFRICAIN DU C I R S S.
(CHINGUITTI DU 13-19 OCTOBRE 1995)

Recommandations et Résolutions:

Les délégués des pays d'Europe et d'Afrique ayant participé aux travaux (Mauritanie, Mali, Espagne,France,Italie), ont adopté le 17 octobre en séance de clôture une série de recommandations et résolutions qui seront soumises aux gouvernements, aux Universités et Organisations Nationales et Internationales concernés et dont le texte suit :

- Mme Laura ALUNNO, attaché culturel de l'ONG de coopération et de volontariat "Africa 70" (qui a collaboré à la réalisation du colloque) s'est déclarée convaincue que cette rencontre exceptionnelle de Chinguitti bénéficiera d'un suivi positif puisque durant ces quatre journées, des contacts très fructueux, aussi bien au niveau des participants qu'au niveau de certaines familles de Chinguitti ont été établis, ce qui témoigne de la qualite des liens d'amitié existant entre "Africa 70" et la Mauritanie. l'ONG est heureuse d'avoir fait venir exprès d'Italie à Chinguitti, Monsieur Marco Sassetti, l'un des restaurateurs de manuscrits anciens les plus appréciés, lequel dès son retour rédigera un rapport précis sur les initiatives à prendre dans ce domaine prioritaire des anciens manuscrits mauritaniens . "Africa 70" a souligné en outre que seule une intervention touchant les différents secteurs garantira la survie des anciennes villes mauritaniennes qui constituent pour le monde entier les témoignages de l'histoire des plus anciennes cultures et traditions du Sahara.

Mme Ottavia SCHMIDT (Italie) a présenté des propositions pour une coopération culturelle directe et en dehors des institutions officielles dans les secteurs universitaires pouvant aboutir à l'échange d'étudiants et de chercheurs, à la création de cours spécialisés en langue arabe en Mauritanie à l'intention d'universitaires italiens et à la reprise de cours de langue Italienne à l'Université de Nouakchott. Elle a également proposé l'organisation de petites expositions sur des sujets ponctuels (Chinguitti, Tombouctou, manuscrits anciens etc...) afin de mieux faire connaître la culture saharienne. Ces initiatives seront renforcées par la constitution de groupes d'action culturelle italiens disposés à contribuer financièrement et techniquement à la réalisation de projets de restauration, de sauvegarde et de rehabilitation sociale en République Islamique de Mauritanie et au Mali.

Monsieur Ahmed ABIDINE (Mali) a indiqué que l'Association "Avenir Tombouctou" vient de réaliser une étude pour répertorier les différents projets que les Toumbouctiens eux-mêmes ont pensé élaborer pour la sauvegarde de la ville. Ceux de ces projets que l'association pourra financer seront réalisés sans sollicitation d'aide extérieure. l'Association "Avenir de Tombouctou" a suggéré ce qui suit :

1) les autorités compétentes devront organiser très rapidement le jumelage de la ville de Tombouctou avec celle de Chinguitti : Notre association apportera son soutien à cette entreprise.

2) L'association "Avenir de Tombouctou" et ses partenaires devront organiser en 1996 un colloque de Tombouctou ,à Marrakech sur le thème suivant : STRATEGIES DE SAUVEGARDE DES CITES DU SAHARA ET DU SAHEL". J'invite l'ensemble des associations et organisations mauritaniennes de Chinguitti, Ouadane et Azougui à participer à l'organisation de ce colloque.

3) Un plan "MARSHALL" pour la sauvegarde des cités sahariennes et saheliennes devra être lancé et financé par les pays développés et les organisations internationales.

***

fait un exposé sur les activités de la nouvelle "maison d'Afrique du Nord et sahéliennes des iles canaries ainsi que de contribuer à la recherche dans les domaines anthropologique et archéologique.

SYNTHESE DES TRAVAUX DES COMMUNICATIONS POUR LA JOURNEE DU MARDI 17/10/1995

Séance présidé par Mr. Famory KEITA du Mali

Monsieur Augusto CUSINATO (Italie) a présenté une communication sur les résultats d'une mission qui se propose d'indiquer les interventions de nature économique, sociale et institutionnelle aptes à engendrer un processus de dévelopement régional viable du Tagant. Le conférencier a fait un bref historique de la région avant d'aborder l'organisation socio-économique il a donné des indications sur les changements à envisager.

"Une comparaison de la structure clanique des sociétés Maure et Somalienne", c'est le titre de la communication présentée par Mr. Federico Battera (Italie). L'intervention de Monsieur Battera a porté sur les traits de similitude existants entre les deux sociétés. Il a par ailleurs évoqué la vocation d'expansion et de propagation des enseignements islamiques qui semble être une autre caractéristique commune.

Monsieur Attilio GAUDIO (CIRSS). Monsieur Gaudio a présenté un exposé sur le "patrimoine historique en péril et à préserver dans le Maroc pré saharien, au Sahara occidental et dans le Nord du Mali".

***

L'exposé a porté sur des localités historiques et archéologiques à fouiller ou à préserver dans les régions délimitées. Le conférencier a axé son intervention sur un ensemble de données exhaustives sur les sites. Au récit historique (emplacement et rôle socio-culturel) est joint une description détaillée des styles d'architecture signalés chez les différentes villes et édifices historiques énumérés.

Bureau du colloque

A la fin de séance d'ouverture le bureau du colloque a été ainsi constitué :

- Mr Moulaye Said Ould Sidaty , Directeur de l'Institut Mauritanien de Recherche Scientifique.
- Mr Attilio Gaudio,Secrétaire Général de l'Institut International d'Antropologie de Paris.
- Mr Izidbih ould Mohamed Mahmoud, Professeur de lettres Arabes Université de Nouakchott.
- Mr Bowba ould Mohamed Nave, historien Université de Nouakchott.
- Danilo Grebenart, préhistorien ,CNRS (France).
- Mr Famory Keita, Sociologue, Président du "Sud Arts et Culture" (Mali).
- Mme Laura Alunno, attaché culturel "d'AFRICA 70".
- Mohamed Abdarrahmane ould Bagga et Isselmou ould Jiddou, chargés de la Traduction.

"Comment sauver Tombouctou" a été le titre de l'intervention de Monsieur Ahmed ABIDINE (France). Monsieur Abidine a d'abord fait la présentation de l'association qu'il reprèsente, "Avenir de Tombouctou" qui fut créée en 1993. Elle a pour objectifs de

1) concilier les habitants de la ville suite aux querelles qui ont eu lieu et 2) assurer la sauvegarde de Tombouctou. Pour ceci l'association se fixe comme schèma directeur ec qui suit : la formation - emploi, la culture et loisirs et l'économie. Quatre projets ont été déjà réalisés. Il s'agit d'une radio privée, de l'organisation d'un colloque international, d'une école de formation professionnelle et d'une maison de passage.

L'intervenant a enfin exhorté les participants à plus de coopération Sud-Sud, et a dans ce cadre invité la Mauritanie a faire un jumelage d'une ville mauritanienne avec Tombouctou.

Quant à Mme Françoise DOUTREUWE (France), elle a présenté un exposé sur la "reconstruction et sauvegarde des monuments, maisons anciennes et de la mosquée de Tombouctou". L'intervenante a fait un certain nombre de constats sur les dangers auxquels fait face l'architecture traditionnelle de Tombouctou. Les principaux problèmes se résument à la dégradation du patrimoine bâti, à l'ensablement et à la situation politique. la conférencière a précisé qu'en raison de la situation politique instable, il s'évère impossible d'engager une action directe sur le terrain. Toutefois, une organisation non-gouvernementale basée à Saintes(France) profite du jumelage de celle-ci avec Tombouctou pour financer des projets susceptibles de fixer les habitants de cette dernière sur place. Des exemples de projets elle a cité des périmètres de culture maraîchère, des centres de développement communautaire (animés par des femmes).

Quant à Monsieur D. GREBENART (France) a fait un exposé sur "les métallurgies préhistoriques du Niger : aspects de vestiges". L'intervenant a mentionné deux principales phases sur la fabrication et l'usage des métaux : cuivre, fer. Il s'agit du 4ème millénaire et du 3 millénaire. L'étude en question portait sur le Niger actuel et plus précisèment au Sud de l'Aïr.

***

Mmes Rosana PONTI et Franca PERSIA (Italie) ont présenté un exposé sur la "conservation et datation des oeuvres d'art rupestre : l'exempte de Tadrart.

Les conférencières ont abordé le problème de dégradation que connaissent les gravures rupestres dans cette région du fait de l'érosion et de l'action de l'homme. Elles ont exposé à partir des résultats d'analyse en laboratoire un ensemble de procédés permettant de lire les gravures sans les altérer.

Monsieur Franciso Garcia TALAVERA (Espagne) a présenté une communication sur "les canari - Evolution historique et géographique d'un ancien peuple libyque - berbère". Il a avancé l'hypothèse de l'origine libyque berbère des habitants actuels de canaries en renforçant son exposé d'arguments et données de toponymie, d'anthropologie, histoire et linguistique.

Les mêmes méthodes ont été suivi par Messieurs Antoino KOYBO et JIMENEZ (Espagne) dont les deux communications étaient lues pour eux en leur absence. Ils se sont basés sur la découverte de pierre et sculpture datant de l'empire romain et des similarités topnymiques entre la langue Gwanch (canaries) et celle de Zenata (Afrique du Nord).

Quant au professeur George EUZ (Belgique) qui n'a pas pu venir mais dont la communication a été présentée pour lui traitant d'un projet ambitieux de canal transsaharien. Il s'agira d'un canal qui s'étendra sur 6000 km de Nouakchott jusqu'à la vallée du Nil. Une telle entreprise aurait pour effet d'améliorer les conditions de vie de l'ensemble des populations du Sahara d'après le chercheur.

Monsieur Manuel Nicolas Gonzalez DIAZ (Espagne) a

terrain

- une interprétation méthodologique de la culture nécessite une catégorisation méthologique de nos approches.

SYNTHESE DES COMMUNICATIONS POUR LA JOURNEE DU 16 OCTOBRE 1995

(Travaux présidés par : Mr. Moulaye Said OULD SIDATY, Directeur IMRS et Mr. D.Grebenart , (CNRS)

"Ouadane et Chinguitti : deux exemples de rayonnement de villes sahariennes", tel est le thème de l'exposé de Mr. Izdbih Ould Med MAHMOUD (Mauritanie). L'intervenant a presenté l'historique de deux villes (fondation, appelation). Il a ainsi relaté de manière exhaustive le rôle de ces deux villes qui étaient au carrefour des voies du commerce transaharien. Il a par ailleurs évoqué les différents facteurs (détournement des routes commerciales, désertification, colonisation, nouveaux centres d'attraction qui ont contribué d'une manière ou d'une autre à la décadence et puis à la chute de ces villes - phares.

Il a conclu en soulignant la nécessité de sauvegarder et restituer le prestige de ces 2 villes. Il a loué les efforts entrepris dans ce sens par l'état (création d'une fondation nationale chargée de sauvegarder les villes anciennes). Il s'est enfin félicité de l'organisation du présent colloque à Chinguitti qui contribuerait à prendre conscience de la situation de cette ville et la mettre au centre du débat.

Monsieur Giuliano SONCINI , (Italie) a présenté une communication sur la "réhabilitation agricole dans les zones désertiques frappées par la désertification". L'intervenant a traité de l'importance de maintenir l'écosystème naturel étant donnée l'interdépendance étroite existant entre l'homme et l'environnement.

En effet l'influence de l'homme sur l'écosysteme conduit inéluctablement à la destabilisation de l'écologie. D'où la nécessité d'intervention de manière à ce que les équilibres soient respectés et à ce qu'il ait un développement intégré de ressources. Ceci devra en conséquence, garantir un meilleur rendement de l'agriculture dans les zones désertiques".

Monsieur Ethmane OULD DADI, (Mauritanie) a quant à lui, présenté un exposé sur l'état d'avancement des programmes de sauvegarde des villes anciennes de Mauritanie. Mr. O/ Dadi a élaboré la conception que la fondation se fait de la sauvegarde.

***

Elle est axée sur un développement intégré . En effet, la création de villes-musée n'est nullement salutaire. Ce qu'il faut c'est d'abord fixer les populations dans les villes anciennes. Ceci requiert la disponibilisation de l'eau et de quelques services prioritaire à savoir (écoles, services de santé).

L'intervenant a ensuite fait état d'autres actions visant la restauration des constructions (renforcement matériaux) et le desenclavement de la ville (balisage des pistes, forrages des puits etc). Il a enfin fait un bref aperçu historique des villes anciennes et a décrit schématiquement leur architecture.

Monsieur Robert VERNET (IMRS) a présenté une communication institulée : "le tourisme sahelo-sahelien et l'archéologie : dangers et remèdes".

L'intervenant a exprimé son souci de voir continuer le pillage systématique des pièces archéologiques par quelques "faux" archéologues. Il a à cet égard proposé qu'il ait une sensibilisation de populations concernées, une formation visant toutes les personnes en relation avec le domaine et enfin une coordination plus étroite entre l'administration territoriale et la recherche.

nie : Unité dans la diversité". Il a souligné l'originalité de l'Islam en Mauritanie, notamment en tant que facteur d'unité. Il a par ailleurs fait ressortir les spécifités de cet islam qui a reçu ses empreintes du mode de vie (nomadisme), de l'environnement (Sahara, Sahel), de l'emplacement (d'où les differentes sources d'influence) géographique (Andalousie, Afrique Sud-Saharienne, Afrique du Nord).

Madame OTTAVIA SMITH DI FIEDBERG (Italie) a quant à elle parlé de la place de plus en plus importante qu'occupe la civilisation arabo-islamique en Italie. Elle a démontré ceci par l'important nombre de musulmans en Italie, le nombre accru d'étudiants orientalistes. Ce qui devra constituer un bon point de départ sur les voies d'une coopération privilégiée.

La Communication de M. Ugo FABIETTI (Italie) traitait du dilemme de la vision anthropologique dans la construction identitaire : le cas de l'analyse de la réalité des nomades sahariens. L'interveant a mis en relief les difficultés auquelles est confronté l'anthropologue dans sa mission, à savoir concilier le cliché de sociologue conservateur avec celui de sociologue "modére" prenant en compte les exigences du monde moderne.

Mme ALESSANDA BRAVIN (Italie) a présenté sa communication sur "l'intérêt socio-culturel du tourisme saharien : l'expérience du Grand sud Marocain".

L'intervenante a expliqué comment le tourisme traditionnel (de masses) peut être destructif pour tout patrimoine et a insisté sur la nécessité d'opter pour un tourisme culturel. Ceci requiert l'implication du facteur humain à tous les niveaux du processus. Il s'agit donc de trouver les points de convergence entre la culture et l'industrie touristique.

Cette vision du tourisme a suscité un intérêt particulier de la part des participants qui étaient unanimes sur la nécessité de preserver le patrimoine culturel des régions concernées et éviter la destruction qu'occasionnerait le tourisme de masses.

La communication de Mr. Baouba OULD MED NAFFE (Mauritanie) avait elle pour objet de faire l'historique de la recherche archéologique en Mauritanie.

L'intervenant a passé en revue les grandes étapes de cette recherche et a fait état des principaux pionniers du domaine ainsi que les sites concernés par les prospections archéologiques. Mr. Naffé a souligné l'importance de continuer l'oeuvre de recherche car at-il précisé"beaucoup reste à faire".

La présentation de Mr. André CORMILLOT (IMRS) portait elle sur l'historique du fichier informatisé du laboratoire d'archéologie à l'IMRS. Il a retracé les grands moments de ce laboratoire avec pour repères des grands pionniers tels que Théodore Monod (en 1938), le couple Robert (jusqu'en 1983).

Ces derniers avaient jetés les bases réelles du laboratoire. Et c'est grâce à eux que ce laboratoire constitue maintenant une référence fiable dans la recherche archéologique car comportant des bases de données sur 600 sites qui avaient été repertoriés.

***

Monsieur Mohamedou OULD MOHAMEDEN DIT HDHANA (Mauritanie) a présenté un exposé intitulé "Approches méthodologiques pour une interprétation de la culture populaire en Mauritanie.

Cet exposé, qui témoigne d'un sens de recherche ambitieux et à la limite innovateur est le fruit d'une dizaine d'années d'observations des diférentes formes culturelles en vue d'une appréhension des systèmes de communication de ce patrimoine.

L'intervenant est arrivé au bout de sa recherche à un nombre de constats et de déductions, dont notamment :

- la méthodologie doit être conçue en fonction des données recueillies sur le

SYNTHESE DES COMMUNICATIONS PRESENTEES LE DIMANCHE 15 OCTOBRE1995

Séance présidée par : Mr. Attilio Gaudio, Secretaire Général du CIRSS

Pour cette première journée du colloque international sur les cités et patrimoine culturel du Sahara et du Sahel, les intervenants ont essentiellement axé leurs communications sur la conservation des manuscrits et leur restauration.

Ainsi, Mr. Moustapha OULD NEDA (Mauritanie) a, dans son exposé intitulé "recherche, classement et études des manuscrits mauritaniens", relaté l'ensemble des données disponibles sur les premierrs manuscrits connus en RIM. Il a fait état des différentes méthodes traditionnelles de conservation ainsi que les différents procédés associés à la conception et fabrication des matériaux premiers (encre, papier, couverture). Il a conclu en incitant a plus de recherches dans ce domaine de la collecte et sauvegarde des manuscrits qui demeurent ensevelis un peu partout dans le pays et qui ne demandent qu'à être rédecouverts et restaurés.

Une deuxième communication par Monsieur Ahmed OULD Mohamed Yahya de (Mauritanie) a traité des manuscrits arabo-islamiques au Sahel. Le conférencier a d'abord porté son intérêt sur trois pays saheliens et leurs bibliothèques renfermant des manuscrits Arabo-

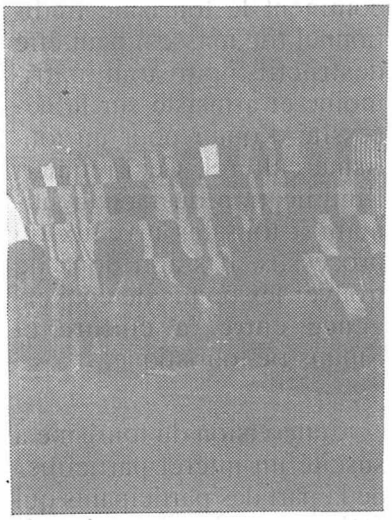

Islamiques. Il s'agit du Niger, du Mali et du Sénégal. La deuxième partie de son exposé s'est intéressé à la Mauritanie et en particulier à la bibliothèque de la ville ancienne de Chinguitti.

Il a par ailleurs expliqué les méthodes de collecte, de cataloguage et de reproduction des manuscrits entreprises par l'IMRS.

Mr. Famory KEITA (Mali) a lui aussi choisi de traiter des manuscrits de source arabo-islamiques en Afrique noire au Sud du Sahara. Son aperçu comprenait une identification des principaux foyers culturels de la région, des statistiques sur le nombre des manuscrits d'une part, une analyse de la situation de conservation de ces documents d'autre part.

Mme Laura ALUNNO (Africa 70 .. Italie) a quant à elle, proposé un schèma de revitalisation de la culture traditionnelle à travers la conservation des manuscrits mauritaniens. La stratégie avancée repose, selon elle, sur la récupération, la restauration et la conservation de smanuscrits mauritaniens. Ceux-ci sont effet le recipient de l'essentiel de notre civilisation et une source d'inspiration pour bien d'autres cultures (europèennes, notamment). Madame Alunno, déclare à cet égard avoir soumis un projet de recupération et de réhabilitation de ces manuscrits à l'UNESCO pour obtention d'un financement. Celui-ci peut être disponibilisé dès l'an prochain. De nouvelles techniques seront utilisées, explique Mme Alunno, a savoir la méthode "scanner" qui permettra de récupérer le manuscrit non seulement dans son contenu mais aussi dans sa forme (couleurs).

L'ensemble de ces intervenants ont exprimé l'urgence de mettre en place une stratégie de récupération et de sauvegarde des manuscrits et ont incité les participants à coopérer davantage en vue de réaliser ce but.

***

L'intervention de Monsieur FASANA (Italie) a traité de "l'Islam en Maurita-

moine à préserver et à réhabiliter des civilisations du Sahara. Car nous sommes ici aujourd'hui dans un des sept lieux saints de l'Islam et dans une des plus anciennes cités du désert qui brillé des siècles durant par le nombre et le rayonnement intellectuel de ces savant, de ses poètes, de ses théologiens, des ses penseurs et de ses écrivains. Nous touchons ici aux trésors d'une culture historique menacée de disparition: je veux parler des anciens manuscita arabes, de même que des anciennes maisons de ces oasis, jadis étendues et luxuriantes, aujourd'hui assiégées et envahies par le sable.

Chinguitti est un quelque sort le temple sacré de ces bibliothèques du désert qui attendent d'être répertoriées, restaurées et publiées et que l'Unesco a classé parmi le patrimoine universel de l'humanité.

Des milliers de manuscrits attendent l'intervention es spécialistes un peu partout au Sahara et au Sahel, surtout que dans leur grande majorité ils sont jalousement conservés, pour ne pas dire cachés, chez des familles, des campements, des mosquées et des zaouias aussi bien d'Algérie, que du Maroc, du Niger, du Mali et de la Mauritanie. Un travail considérable a déjà été réalisé par les marocains en ce qui concerne le fond de la célèbre zaouia de Tamgrout (dans le haut Draa), par votre Institut Mauritanien de la Recherche Scientifiques à l'égard de certains manuscrits de Ouadane, Chinguitti et Oualata, par les maliens à Tombouctou avec la création du Centre d'Etudes et de Recherches Historiques Ahmed Baba (CEDRAB) et pas les nigériens qui ont réussi à sauver et à conserver les 2000 manuscrits, si non plus, récupères et réunis à Niamey par le regretté président de l'ex Assemblée Nationale, Boubou Hama.

Mais ces textes écrits, que nous aurons la possibilité d'examiner en partie pendant notre séjour dans l'Adrar, ne sont pas le seul aspect important de la mémoire culturelle saharienne.

Il y a les sites d'art rupestre, les anciennes mosquées, les restes archéologiques et les villes elles-mêmes, où les exemples d'architecture traditionnelle et des techniques de bâtiment avec des matériaux locaux, doivent absolument être l'objet de la sollicitude du monde savant et des coopérations culturelles des Etats, afin que rien ne soit perdu pour les générations futures.

Je pense tout particulièrement à certains ksour du Tafilalet, de la vallée du Draa, du Djébel Bani, du Maroc présahariens et du Sahara Occidental, je pense à l'Adrar mauritanien, à Tawdagoust, à Koumbi-Saleh, à Tichit, à Oulata, à Toumbouctou, aux ruines oubliées et ensevelies de Tadmekka au Mali et aux anciennes cités de l'Air au Niger.

Je recommande à tous les congressistes qui dispose du texte écrit en français de leur intervention de bien vouloir le remettre à la commission de synthèse en vue de leur traduction en langue arabe, langue officielle des travaux avec le français.

DISCOURS DE M. ATTILIO GAUDIO SECRETAIRE GENERAL DE L'INSTITUT INTERNATIONAL D'ANTHROPOLOGIE DIRECTEUR DU "CENTRE INTERNATIONAL DE RECHERCHES SAHARIENNES ET SAHELIENNES" (CIRSS) DE PARIS

Monsieur le Ministre,
Monsieur le Gouverneur de l'Adrar,
Monsieur le Maire de Chinguitti,
Messieurs les parlementaires,
Mesdames, Messieurs,

Permettez-moi tout d'abord de vous faire part des nombreux messages de sympathie et d'encouragement que nous avons reçu à Paris pour ce Sixième Colloque Eurafricain du CIRSS, notamment des Communautés Européennes, de l'Institut du Sahel à Bamako, du grand préhistorien espagnol Beltran de l'Université de Saragosse, du Président du Centre des Etudes Préhistoriques du Val Camonica, Emanuel Anati, du Président du Centre d'Etudes d'Archéologie Africaine de Milan, Madame Lidia Cicerale, de l'Institut des Etudes Africaines de l'Université de Genève et de l'Institut d'urbanisation du Monde Arabe de Tours (France).

Il ne faut pas oublier que cette rencontre de Chinguitti est l'heureuse issue d'une véritable course aux obstacles. En effet, notre cinquième congrès, qui a eu lieu dans la ville de trento (Italie), sur la question touarègue, avait indiqué dans ses résolutions que le colloque suivant aurait du se tenir à Tombouctou.

C'est une constante du CIRSS d'organiser alternativement un colloque dans une ville européenne et dans un pays africain.

Hélas, les événements politico-militaires dans le Nord du Mali nous ont empêché de nous retrouver dans la ville de Ahmed Baba.

Alors nous avons été invités à nous rendre à Ténériffe, aux Iles Canaries, où les chercheurs des deux universités de Las Palmas et de la Laguna, ainsi que des musées insulaires, se consacrent de plus en plus aux sujets archéologiques, préhistoriques, anthropologique et linguistiques concernant les anciennes population préhispaniques de l'Archipel d'origine proto-berbère. Mais des raisons intérieurs à l'université de la Laguna ont bloqué l'initiative.

La solution de replie est passée alors par le Sud marocain, bien que notre quatrième colloque s'était déjà déroulé dans une région présaharienne préféré accepter l'invitation du gouvernement mauritanien qui nous a ouvert les portes de l'Adrar, oh combien symbolique du patri-

La volonté réelle de l'état mauritanien sous la clairvoyance de son excellence Le Président de la République Monsieur Maaouiya Ould Sid' Ahmed Taya d'organiser ce colloque à Chinguitti , émane à la fois de sa volonté et de son souci d'assurer la pérennité de ce rayonnement culturel ayant marqué l'histoire de notre pays; pour ce faire l'état n'a jamais cessé d'agir en ce sens en créant des établissements spécialisés tels que l'Institut Mauritanien de Recherche Scientifique en 197887

4, la Fondation Nationale pour la Sauvegarde des Villes Anciennes en 1993 en plus de l'organisation des séminaires et colloques tels celui organisé avec l'UNESCO sous le thème: l'influence de la culture arabo-islamique sur le continent par le biais de la péninsule ibérique en Mars 93.

Honorables invités;

Je voudrai saisir cette occasion pour remercier Mr Attillio Gaudio Secrétaire Général Du Centre International de Recherches Sahariennes et Saheliennes pour cette heureuse initiative consistant à choisir notre pays et en particulier la ville de Chinguitti pour abriter les travaux de cette rencontre hautement scientifique. cette rencontre constitue une consécration d'une reconnaissance du rôle culturel spécifique que joue notre pays dans la sous-région liée par des relations profondes au monde méditerranéen et auxquelles ce colloque apportera très certainement un souffle et un sang nouveaux.

Nos remerciements vont aussi aux éminents professeurs et chercheurs qui ont fait le déplacement de Chinguitti pour animer et enrichir les débats par leur expériences et leur savoir faire.

Nous fondons un grand espoir sur les résultats des travaux de ce colloque quant à la promotion du patrimoine et sur la mobilisation des sources de financement susceptibles d'intervenir dans ces domaines.

Je puis vous assurer que vos recommandations et vos suggestions seront traitées et suivies avec la plus grandes attention en vue de leur concrétisation.

par l'aide d'ALLAH, je déclare ouvert le Colloque International sur les Cités et Patrimoine du Sahara et du Sahel; je vous souhaite bon séjour et plein succès à vos travaux.

Le discours d'ouverture du Ministre de la Culture et de l'Orientation Islamique pour le Colloque de Chinguitti organisé du 13 au 20 Octobre 95

Monsieur Le Wali
Messieurs les élus
Monsieur Le Secrétaire Général Du Centre International de Recherches Sahariennes et Saheliennes
Messieurs les Chercheurs
Honorables invités
Mes dames et Messieurs

Ce n'est pas un hasard qu'un forum scientifique d'une telle envergure visant à débattre des thèmes scientifique et culturels en rapport avec le patrimoine , soit organisé à Chinguitti; septième lieu saint de l'islam et patrimoine universel de l'humanité.

Cette cité aujourd'hui quasi ensevelie au cœur du désert7 était un foyer rayonnant dans l'histoire culturelle de ce pays et une étape prépondérante du commerce transsaharien.

Elle était aussi le point de départ des pèlerins en majorité érudits célèbres pour leur compétence et leur savoir dont les noms se rattachèrent à la ville la rendant tellement célèbres au point de donner son nom à tout le pays.

Ce rayonnement culturel de Chinguitti fut aussi connu dans les autres villes historiques mauritaniennes telle Ouadane que vous allez visiter, Azougui; forteresse des Al moravides et lieu de la tombe de l'Imam El-Hadrami, Tinigui, Oualata, Tichit, Aoudaghost, Coumbi Saleh et autres.

En Accueillants ces illustre chercheurs et en abritant une manifestation scientifique aussi importante, la ville de Chinguitti renoue aujourd'hui avec sa tradition d'antan.

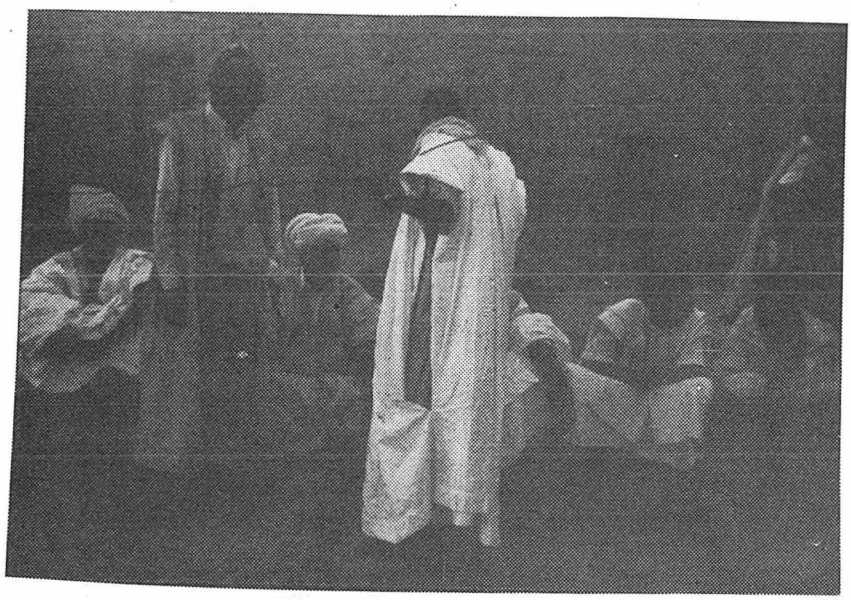

Colloque de Chinguitti organisé du 13 au 20/Octobre/95

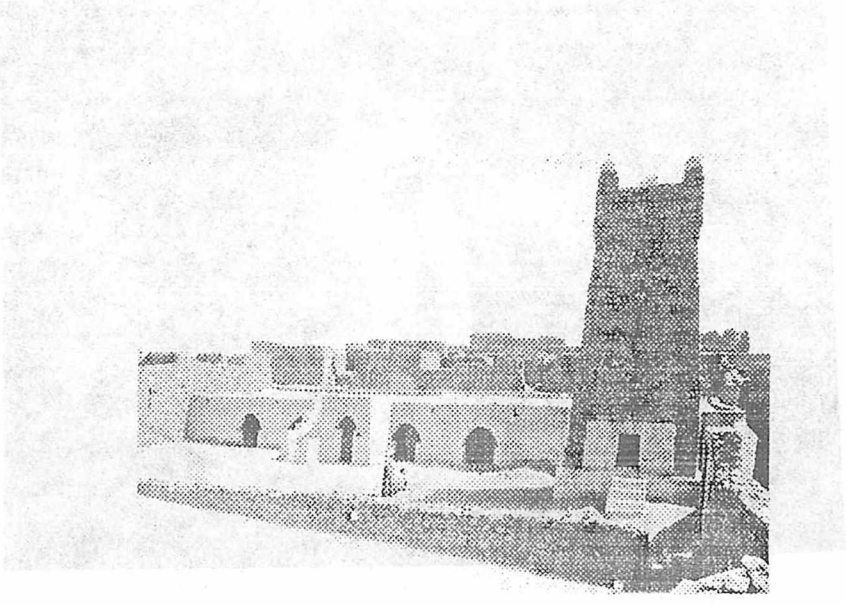

"Colloque International sur les Cités et Patrimoine du Sahara et du Sahel"

Formation, où se trouvent l'Ecole internationale (EIB) et le Centre international francophone de documentation et d'information.

■ **un organe subsidiaire à Québec** (Canada) qui est l'Institut de l'énergie des pays ayant en commun l'usage du français.

■ **ses bureaux régionaux** : Les bureaux régionaux sont des représentations chargées d'assurer le suivi de la coopération entre l'Agence et la sous-région dans laquelle ils sont implantés.

• ***le bureau régional de l'Afrique de l'Ouest*** à Lomé (Togo), depuis 1983,

• ***le bureau régional de l'Afrique Centrale*** à Libreville (Gabon), depuis 1992,

• ***le bureau régional de l'Asie-Pacifique*** à Hanoï (Viet-nam), depuis 1994,

■ **ses bureaux de liaison:** Les bureaux de liaison jouent un rôle d'intermédiaire entre l'Agence de Coopération Culturelle et Technique et les autres organisations intergouvernementales; ils assurent aussi une assistance aux délégations des pays francophones ne disposant pas de représentations permanentes auprès de ces organisations.

• ***le bureau de Genève*** (Suisse) est chargé des relations avec les organisations de la famille des Nations Unies et d'une mission permanente auprès de la Banque africaine de développement (Bad),

• ***le bureau de Bruxelles*** (Belgique) est chargé des relations de l'Agence avec l'Union européenne et le Secrétariat général des ACP,

• ***le bureau de Newyork*** (Etats-Unis) est chargé d'une mission semblable de liaison avec les Nations-Unies, de même qu'avec les institutions financières internationales comme la Banque mondiale et le Fonds monétaire international (FMI),

M. Jean Louis -Roy
Secrétaire Général de l'ACCT

■ **ses programmes décentralisés:**

• ***à Ottawa*** (Canada) où se situe son programme décentralisé de documentation et d'information, la Banque internationale d'information sur les Etats francophones (Bief) qui dispose au Nord comme au Sud de plusieurs centres serveurs,

• ***à Dakar*** (Sénégal) où est géré un parogramme de bourses techniques et professionnelles,

• ***à Tunis*** (Tunisie) où a été implanté le Centre africain de formation à l'édition et à la diffusion,

■ **ses correspondants nationaux:** L'Agence s'appuie sur un réseau de Correspondants nationaux désignés par chacun des pays ou gouvernements membres. Ils sont les relais indispensables entre ceux-ci et l'Agence.

Le Correspondant national de Mauritanie auprès de l'ACCT est M. Ahmed Beddy Ould Ahmedou Vall.

Les relations extérieures de l'Agence

Au-delà de l'espace francophone, l'Agence qui occupe un siège d'observateur auprès de l'Organisation des Nations-Unies, est largement engagée dans des actions de coopération avec des organisations internationales telles que: la Banque africaine de développement (Bad), la Banque mondiale, l'Organisation des Nations Unies pour l'alimentation et l'agriculture (FAO), l'Organisation islamique pour l'éducation, les sciences et la culture (Isesco), l'Organisation des Nations Unies pour le développement industriel (Onudi), l'Organisation de l'unité africaine (OUA), le Programme des Nations Unies pour le développement (Pnud), le Fonds des Nations Unies pour l'enfance (Unicef), l'Organisation des Nations Unies pour l'éducation, la science et la culture (Unesco) et l'Union européenne.

L'Agence de Coopération Culturelle et Technique (ACCT)

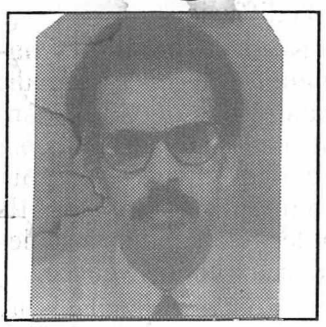

présenté par: Sidi M'Bareck Ould T'Feil
Responsable du Département ACCT à la Commission Nationale Mauritanienne pour l'Unesco

L'Agence de Coopération Culturelle et Technique (ACCT) est née d'un idéal, celui de réunir autour d'un même projet commun l'ensemble des pays ayant le français en partage.

Créée à Niamey (Niger) en 1970, l'ACCT est l'unique organisation intergouvernementale de la Francophonie et le principal opérateur des Conférences biennales des chefs d'Etat et de gouvernement des pays ayant le français en partage, aussi appelées Sommets Francophones.

L'Agence déploie son activité multilatérale dans les domaines de l'éducation et de la formation, de la culture et de la communication, du développement durable (environnement, énergie, agriculture), de l'information spécialisée et de l'économie, du droit au service du développement et de la démocratie et de diverses actions ponctuelles au titre de son Programme spécial de développement.

Elle regroupe 44 Etats et gouvernements répartis sur cinq continents, soit un pays sur quatre dans le monde:

37 Etats membres: Bénin, Bulgarie, Burkina-Faso, Burundi, Cambodge, Cameroun, Canada, Centrafrique, Communauté française de Belgique, Comores, Congo, Côte d'Ivoire, Djibouti, Dominique, France, Gabon, Guinée, Guinée-équatoriale, Haïti, Laos, Liban, Luxembourg, Madagascar, Mali, Maurice, Monaco, Niger, Roumanie, Rwanda, Sénégal, Seychelles, Tchad, Togo, Tunisie, Vanuatu, Viet-nam, Zaïre.

5 Etats associés : Egypte, Guinée-Bissau, Maroc, Mauritanie, Sainte-Lucie.

2 gouvernements participants: Canada-Nouveau-Brunswick, Canada-Québec.

Outre les membres de l'Agence énumérés ci-dessus, les Conférences biennales des chefs d'Etat et de gouvernement des pays ayant le français en partage (Sommets francophones) réunissent également le Royaume de Belgique, le Cap-Vert et la Suisse.

L'Agence de Coopération Culturelle et Technique (ACCT) a son siège à Paris et est dirigée par un Secrétaire Général élu par la Conférence générale tous les quatre ans (renouvelable une fois).
Monsieur Jean Louis - Roy (Canada - Québec) a été réélu lors de la dernière Conférence générale qui s'est tenue à Bamado en décembre 1993.

COTONOU 1995.

- ***5è Froum francophone des affaires*** *(Cotonou, 7-10 novembre 1995).*
- ***Conférence des Ministres de l'enseignement supérieur et de la recherche scientifique des pays ayant le français en partage*** *(Cotonou, le 11 - 12 Novembre 1995).*
- ***6è Conférence ministérielle de la Francophonie*** *(Cotonou, 29 - 30 novembre 1995).*
- ***6è Conférence des chefs d'Etat et de gouvernement des pays ayant le français en partage*** *(Cotonou, 2 - 4 décembre 1995).*

L'Agence est représentée dans le monde par

■ **une unité décentralisée à Bordeaux**, siège de sa direction générale Education-

Table des matières

	Pages
L'Agence de Coopération Culturelle et Technique (ACCT)	3
Le discours d'ouverture du Ministre de la Culture et de l'Orientation Islamique pour le Colloque de Chinguitti organisé du 13 au 20 Octobre 95	7
DISCOURS DE M. ATTILIO GAUDIO SECRETAIRE GENERAL DE L'INSTITUT INTERNATIONAL D'ANTHROPOLOGIE DIRECTEUR DU "CENTRE INTERNATIONAL DE RECHERCHES SAHARIENNES ET SAHELIENNES" (CIRSS) DE PARIS	9
SYNTHESE DES COMMUNICATIONS PRESENTEES LE DIMANCHE 15 OCTOBRE1995	11
Bureau du colloque	15
Recommandations et Résolutions:	16
HISTORIQUE DES RECHERCHES ARCHEOLOGIQUES EN MAURITANIE	20
Constructions identitaires: Avantages et limites de la perspective anthropologique dans l'analyse de la réalité des nomades sahariens.	24
LES ETUDES ARABO-ISLAMIQUES EN ITALIE: NOUVELLES PERSPECTIVES	27
Discours de la clôture du colloque de Chinguitti	29

Special

El Mewqib El Theghafi

Special

Publiée par la CNESCM
Ilot V
Tél: 54803 - Fax: 52802
Nouakchott - Mauritanie

Directeur de la publication:
Prof. Ahmed Bedy O/ Ahmedou Vall
Chef de rédaction:
Prof. Sidi Mohamed O/ Khatary
Seretaire de rédaction:
Prof. Ahmed Jeddou O/ Mohamed

Directeur Technique:
Prof. Mohamedou O/ Mohamedhen dit Hdana

Les redacteurs:
Prof. Mohamed Vall O/ Abderrahmane
Prof. Bowba O/ Mohamed Nafe
Prof. Cheikh El maeloum O/ Mohamed Salem
Prof. Mariem M/ Bekrine
Dr. Abdellahi O/ Seyid
Prof. Lalla M/ Mohamed Mahmoud

Saisie et Mise en Pages:
"SAFOR" Informatique

Tiré sur les presses de:
L'imprimerie nationale